14 me Année No. 704

Lundi — 30 — 12 — 1946

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٠٤ « القاهرة في يوم الإثنين ٦ صفر سنة ١٣٦٦ — ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

من استرعى الذئب ظلم

للأستاذ محمود محمد شاكر

في سنة ١٩٢٧ عرفت رجلاً إنجليزياً ، فنشأت بيني وبينه مودّة ، وكان رجلاً حريصاً على أن يعرف أشياء كثيرة على وجهها الصحيح ، وكان صادق اللسان فيما يبدو لي منه ، وإن كنت قَلِقَ الشكّ في صدق اللسان الإنجليزي ! وكانَ لطيف المعشر طلق المحيَّا ، فيه دُعابة رقيقة لا تبلُغ العُنْف ولا يتجاوز بها حدَّها . وبقينا معاً سنة كاملةً ؛ فكان كأكمل الناس أدباً ، وأزكاهم عقلاً وأبعدهم عن اللجاجة والمغاضبة وسوء العشرة . وكان إذا تقصَّى مني أمراً أخلصتُه القول ، فقد ظننتُ أني جرَّبْتُه وعرفته ونفذت في طوايا ضميره . وكان هو يحدّثني فلا أشكُّ أبداً أنه كسائر أهل جلدته ، بل كان خَلْقاً غير الخلق منهم ، فهو يقول ويعني ما يقول ، وليس كأمثالهم يتسلَّل من إهاب ليدخلَ في إهاب . ولم أزل أطمئنّ إليه وإلى حديثه وإلى بثّه ما في نفسي ونفس بلادي مِنْ شعور ، فكان لا يتردَّدُ في إعطاء الحق لمن له الحقُّ ، ولا يرضَى أن يكونَ ظالماً ولا متعنّتاً ولا مدافعاً بالعصبية أو الكبرياء أو المراء .

وفي سنة ١٩٢٨ جاءت امرأتُه من بلادها ودعاني مرّات فما لبثتُ أن رأيتُ هذا الرقيق الوديع المنصِف ينقلبُ خشناً جريئاً على الباطل جائراً في الحكومة ، متعنّتاً فيما كان بالأمس يعطي النَّصفةَ فيه ، وإذا هو شديد اللَّدَد تيَّاه الخصومة ، وإذا هو ينسلخُ من إهاب ليدخلَ في إهاب كغفل سائر قومه ، فكانَ ذلكَ آخر عهدي به ، وكان من عاقبته أني كرهتُ هذه الإنجليزية العجيبة التي يقال فيها ما قال الشاعر : « كالعُرِّ يكمُنُ حيناً ثم ينتشرُ » . فإنّ مجيء امرأته أعداهُ كما يُعْدى الجَرَب ، فثار ما كمن فيه منه ثم استَشْرى ، فإذا هو وافِدُ قوم هُمْ ما هُمْ .

وفي هذه السنة التي انتفض عليه فيها عِرْقُ قومه ، جلسنا يوماً نتحدّث فجرى الحديث إلى ذكر السودان ، فقال لي إن قضية مصر في مسألة السودان ليست إلا دعْوَى لا خيرَ فيها ، فإن هذا النّيل الذي تزعمون أنه يربط بين مصر والسودان رباطاً لا انفصام له لا ينفعكم في إقرار الحجة لدعواكم أن مصر والسودان أمّة واحدة أو ينبغي أن تكون أمة واحدة . وقال : أرأيت إلى نهر الدانوب ، كيف يجوزُ في المعقول أن يَدَّعى مُدَّعٍ ممن يعيش على مدّه أنه يُوجِب توحيد الأمم التي عليه لتكون أمة واحدة ؟ أو ليسَ إذا قام شعبٌ من شعوب الدانوب فادّعى بمثل ما تدّعون ، فإن الواقع كله يبطل حُجَّته ، والعقل يوجب أنْ يشكَّ المرء في صحة إدراك هذا الشعب ؟ فهذه هذه ، فليس ينفعُ قضيّة مصر أن تدّعي أن النيل يمسكها هو الرباط الذي

يوجب أن تصير مصر والسودان أمة واحدة. والعجب العجاب عندي أن حديث السودان كان قد جرى بيننا قبل أن يمسه غير قومه، فلم يقتصر يومئذ على أن يسكت؛ بل كان قد وافقني على ما ذكرت له من حجة مصر في قضية السودان، فإذا هو قد نسي كل هذا بعد أن ارتد إلى سنخه وطبيعته ... وهكذا الإنجليز.

ومضى الزمن، وإذا بنا نسمع إحدى الببغاوات التي سُلبت العقل وكُسيت الريش الجميل، تردد هذا القول المدخول الفاسد من جميع نواحيه. ولو كان قائله إنجليزياً لهان الأمر، وهو هيّن على كل حال؛ ولكنه مع أشد الأسف سوداني المولد والإهاب، أما قلبه فقد بيع بالمزاد فوقع في قبضة ال... الذي رفعته إنجلترا بين عشية وضحاها من وهدة البؤس والحرمان، وكان فيهما وحلاً فاشلاً، إلى ذروة الغنى والجاه، فأصبح بعدها جانحاً إلى النقصان ساعة بعد ساعة.

زعمت الببغاء أن ليس في الدنيا شيء يقال له وحدة وادي النيل، كما أنه ليس في الدنيا شيء يقال له وحدة نهر الدانوب، وأن الذي يُبطل هذه يُبطل تلك في مقام الاحتجاج، ويخرج من هذا إلى أن السودان ينبغي أن يكون أمة وحده، وأن يمصّر أو تريد مصر! « ينصبون فخاخاً تخفي أغراضهم الحقيقية ببراعة بال... ... الثوب اللامع من الدين واللغة والتاريخ، وهو الثوب الذي اصطنعوه بأيديهم ». هكذا قالت الببغاء التي يزعمون أنها رئيس تحرير جريدة النيل وعضو في وفد حزب الأمة في لندن لهذا التاريخ!

فهذه الببغاء تجمع إلى نقيصة الترديد والتقليد نقائص كل واحدة منها شر من الأخرى هي الجهل بمعنى ما يقول، والكذب على أهل السودان، والجرأة في التهجم على الناس بما ليس بعلم، والتدليس في التاريخ، والعبث بمصير أمته المصرية السودانية، وشرهن جميعاً ما يلوح في خبيء كلامه من المداورة البغيضة التي يؤرثها هو والمستأجرون من أمثاله بين مصر والسودان.

وقصة هذا الدانوب الذي يحتج به ذلك الإنجليزي ثم احتجت به الببغاء الملقنة، قصة فاسدة المبنى والمعنى، والإغماض في الاحتجاج بها دالّ على ضيق التصور وقلة العقل وجثوم الجهل في جمجمة قائلها. فهذا النهر ينحدر من منابعه في بادن مخترقاً ألمانيا ثم النمسا ثم هنغاريا ثم يوغوسلافيا ثم بلغاريا ثم رومانيا حيث ينتهي إلى مصبه في البحر الأسود؛ فهو مشترك بين ست دول كل واحدة منها لها خصائصها، حتى يبلغ التباين بينها مبلغاً ليس بعده شيء، في اللغة والعادات والآداب والتاريخ وأسباب الحياة كلها تقريباً. هذه واحدة.

أما الثانية فهذا النهر واقع في قلب أوربة، وهذه الدول كلها قائمة على حفافيه متاخمة لدول أخرى تحيط بها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، فهو ليس نهراً في صحراء جرداء كما ترى في نهر النيل الذي يحده من الشرق صحراء، ومن الغرب صحراء، ومن الشمال بحر ينتهي إليه مصبه، وفيه دلتا مصر.

وأما الثالثة، فهو أنه ليس نهراً تقوم على جوانبه الزراعة في خط ضيق في بلد واحد كالذي تراه في نيل مصر والسودان، بل لعل أكبر فوائده هي النقل لا الزراعة وحدها.

وأما الرابعة فهي أن هذا النهر يمر في دول ست قوام حياتها الصناعة لا الزراعة وحدها. أما نهر النيل فالزراعة هي قوام حياة أهله وسبب أرزاقهم، والذي فيه من مادة الخصب يوجب أن يكون نهراً للزراعة واستصلاح الأرضين البور التي تحف به من شرق وغرب.

وأما الخامسة فهي أن إقامة السدود على نهر الدانوب لا يمكن أن يراد بها إلحاق ضرر بالأرضين التي تقع على منحدره، فإذا أراد ذلك مريد وعزم على أن يضر بلداً بمنع ماء الدانوب عنه فقد وقعت الواقعة بين ست دول كلها متأهب للحرب في سبيل رد هذا البغي. فهو كما ترى أمر مستحيل بطبيعته.

وهناك قول كثير ولكن حسبنا هذا لمن يريد أن يفهم فهماً، لا أن يردد الأقوال ترديد الببغاوات التي تباع وتشترى للأغراض الخبيثة التي تريدها إنجلترا بهذه البلاد المسكينة. فهذه المقابلة السخيفة بين مسألة الدانوب ومسألة النيل لا تدل على شيء إلا على جهل الناطق المردد لها، ولا

تقوم حجة إلا على خبث النيات التي أخذت تندس لتفرق أوصال هذا الوادي وتزايل بين روابطه التي لن تنفصم، بإذن الله.

ونحن نحمد الله على أن الأحرار أهل السودان ليس لهم رأي أن يقطعوا أرحامهم، ويخربوا بيوتهم بأيديهم، ويمزقوا هذه الوشائج الممتدة من أقصى عهود التاريخ إلى يومنا هذا. فنحن نسوق الحديث إلى هذه الببغاوات التي تنتسب إلى الشعب الأبي الحر لعلها تفيء إلى الحق، وإلى الذين يهادنون في الحق الأبلج مخافة أن يقال إن مصر تريد أن تبسط سلطانها على السودان في زمن تنادى فيه الأمم بالحق الأبلج أيضاً في تقرير المصير. ولولا أن هذا كله تدليس خفي يراد أن تروع به القلوب، ثم يتغلغل خفية إلى معان بعيدة يراد بها قتل السودان ومصر جميعاً، لكان الرد عليه هو إهماله وازدراؤه.

إن هذا النيل الجاري بين الصحراء الشرقية والصحراء الغربية من أقصى الجنوب إلى أدنى الشمال يوجب أن يكون أمة واحدة، فليس مثله كمثل الدانوب. فإنه إذا قدر للسودان أن يكون وحده مستقلاً، وهذا أبعد البعيد، أو تحت سلطان انجلترا، وهو الشيء الحادث والذي يراد الإيغال في إقراره بفصله فصلاً تاماً عن مصر، فإن الخطر الداهم والداهية المصبوبة تكون على مصر جائمة حاضرة في كل أوان، فإن أسهل السهل أن تضارنا إنجلترا في ماء النيل، وأن تمنع عنا رفده متى شاءت وتتخذه سلاحاً مخوفاً مفزعاً وحشياً للتهديد والإرهاب بقطع مادة الحياة في مصر بل في الشرق الأوسط كله، فإن قحط مصر هو قحط الشرق الأوسط، بل قحط جزء عظيم من حوض البحر الأبيض المتوسط. فإذا كان ذلك فبمن نستنجد؟ ومن أين نؤمل النصرة؟ برمال الصحراء الشرقية وسوافى الصحراء الغربية!! إنه إذا كان مثل ذلك في أي مكان من الدانوب لهبت أمم بأسرها — أمم صناعية — تدفع البغي دفعاً رادعاً راداً للحق مانعاً لاستمرار هذا البغي. أما مصر، فماذا تصنع أيها المأجورون للدسيسة الإنجليزية! أتدافع برجال

هدّهم الجوع والظمأ والوباء؟ تمست الحاقة!

ولو كانت إنجلترا هي الأمة التي تسكن هذا الجزء من وادي النيل المسمى باسم مصر، لما ترددت ساعة واحدة من أجل هذا وحده أن تقتحم السودان فتحاً وتنتهبه انتهاباً، وتحتج لفعلاتها فيه بكل حجة، لأن النيل حياة إذا جاء بمده، وموت إذا أمسك سيبه. وهذه إنجلترا نفسها ليس لها حجة في البقاء الذي تريده في الشرق الأوسط وفي قناة السويس وفي نواح أخرى كثيرة، إلا أنها إذا خليت جلبت على الإمبراطورية كل شر، وقطعت شريان الحياة الذي يمدها بالطعام والمال والقوة والسلطان. أفيجوز في العقل أن تحتج إنجلترا بذلك في سبيل أن تبقى عند قناة السويس وفي فلسطين، ولا نحتج نحن بأضرار محققة إذا كان في السودان إنسان واحد في يده قدرة على الإضرار بمصر إضراراً يصيب أبدان أهلها وأرواحهم، ثم أبدان ملايين أخر من أهل الأمم التي تجاورنا ونستمين بها وتستمين بنا؟

ونحن لا نقول هذا ولا نسوق الحجة على هذا الوجه لندعي — كما يراد لنا اليوم أن ندعي — أن لمصر حقاً في استعمار السودان أو احتلاله أو الوصاية عليه أو غير ذلك من الأباطيل المضللة، بل لنقول إن هذا وحده يوجب عقلاً أن يكون وادي النيل كله دولة واحدة، لها حكومة واحدة، وتشريع واحد، ونظام نيابي واحد، شأن السودان فيها كشأن أسوان، وقنا وجرجا ومديريات مصر كلها، فإن موقع أية مديرية من هذه المديريات كلها هو من الناحية الجغرافية كموقع السودان؛ فلو جاز أن يفصل السودان اليوم عن مصر بحجة، فهذه الحجة تنطبق كل الانطباق على أسوان ثم قنا ثم جرجا إلى أن تبتلع النيل كله. وأيضاً فإن مكان السودان كمكانها من الناحية التاريخية والأدبية والأخلاقية والدينية. وإذن فالنيل يحدث بلسان لا يكذب بأنه لا يمكن أن يتجزأ إلا إذا جاز التجزؤ على هذه المديريات حتى تصبح كل واحدة دولة قائمة برأسها. والشعب الذي يسكن أسفل الوادي (المعروف باسم مصر)، والشعب الآخر الذي يسكن أعلاه (المعروف باسم السودان)،

في محطة القــــاهرة

للأســــتاذ علي الطنطاوي

دخل (المحطة) في اليوم السادس من سبتمبر سنة ١٩٢٨
وخرج من (المحطة) في اليوم التاسع عشر من ديسمبر سنة ١٩٤٦:

دخل من باب، وخرج من باب، وكانت المحطة كأنها النسخة المختصرة من كتاب الدنيا، وكأنها السورة المصغرة لها: كلٌّ يركض إلى غايته، ويزحم بكتفه، ويدفع بيده، ويعتدي ويُعتدَى عليه، والحمالون ينهبون أموال الناس ما استطاعوا، والناس يتقونه ما قدروا، والقطُر تصفّر وتزمجر وتملأ الجو دخاناً وشراراً، وتسرع لتفرق أحباباً، وتجمع أحباباً، وتريق دموعاً وتضحك أفواهاً، وكأن صفيرها لحن الوصال العذب لناس، ونواح الفراق الأليم لآخرين، وكان الباب يفتح أبداً ويغلق، والناس يدخلون ويخرجون، لا يلتفت أحد إلى أحد، ولا يسأل سائل أخاه عن آلامه ولا عن آماله، فهو يستمتع بمسراته وحده ويتجرع أحزانه بلا معين ...

والمحطة كالدنيا تسعد وتشقى، وما تسعد المرء ولا تشقيه إلا نفسه وذكرياته. هذا يحبها لأنه دخلها في مسرة، واستقبل فيها الحبيب، فهو يذكر كلما مرّ بها، أو سمع صفير قطُرها، تلك الساعة التي كانت عنده العمر، ساعة جاءه البشير بقدوم حبيبه فذهب إليها يكاد يطير من الشوق، وقام ينتظر القطار لا يستطيع أن يستقر في مكان، واستبطأ الوقت فهو يخرج ساعته كل دقيقة، يحسب الدقيقة من الانتظار دهراً، فيراها لا تتحرك عقاربها، حتى إذا صفر القطار وهدر خفق له قلبه وغلى في عروقه دمه، فركض إليه، فلما أبصره رأى سواده نوراً مشرقاً لأنه يحمل الحبيب، وناره المتقدة برداً على قلبه وسلاماً، ودخانه أرق من النسيم العليل؛ ورآه بثقله أخف من الطيف السارى وأقبل يزاحم الناس، يطأ بقدمه حيث لا يدري لأن بصره

شعبٌ واحدٌ ناطقٌ بلسان عربيٍّ مبين لا يعرف نفاق اللسان الإنجليزي ولا تكاذُبه وخداعَه، بأنه أيضاً لا يستطيع أن يتجزأ، ولا هو قابل للتجزّؤ.

ولقد استزلّ الشيطانُ بعض ساستنا؛ فأخذوا يقولون إنّ مصر لا تريد أن تستعمر السودان، بل تريد أن تمنحه الاستقلال الذاتي! خَلاً حلاً أيها الرجال، فإن هذا ما يريده الإنجليز، إنهم يريدون أن تقرّوا بألسنتكم ما الحق شاهدٌ على بُطلانه، وهو أن الشعب المصريّ شيء، والشعب السوداني شيءٌ آخر؛ ويريدون أن تقولوا إن النيل ممكنٌ أن يتجزأ، ولو بعضَ التجزّؤ، فإن هذا حسبهم منكم اعترافاً وتقريراً. فتوبوا أيها الساسة من هذا الإثم، ولا يُرهبكم حق تقرير المصير، ولا مجلس الأمن، ولا هيئة الأمم المتحدة، فإن هذه الرهبة باطلٌ كلُّها. توبوا أيها السّاسة، ولا تخافوا من أكذوبة الدانوب، فهو النهر الوحيد الذي تتعددُ الدُّول على حفافيه، وهو نهر ليس له قيمة زراعية. واعلموا أنه لا يكاد يوجد في الدنيا كلها نهرٌ زراعيٌّ رائقٌ مجراه في أكثر من أمةٍ واحدة، وهذه الأمة الواحدة يكون لها كل السلطان عليه من منبعه إلى مصبه. لا تخافوا أيها الساسة وتوبوا وتبرأوا مما قلتم، وخيرٌ لكم أن تدرسوا طبيعة النيل والأضرار المخوفة من تجزيئه، وأن تعرفوا ما ذا تريدُ إنجلترا بفصل السودان عن مصر وضمِّه إلى الجزء المفضي إلى جنوب إفريقية والجنرال سمطس، فهناك البلاء الأعظم.

أيها المصريون السودانيون: إن النيل هو إفريقية كلُّها، فاحذروا أن تضيعوا أوطانكم، وتُلوِوا بأمجادِكم، وتضعوا أعناقكم في نير العبودية السرمدية إذا احتوشتكُم المناسر النربية عن إفريقية النائمة التي بدأت تستيقظ من غفوة طالت عليها الآباد. احذروا كذب البغاة الطغاة المفسدين في الأرض، واحذروا بيناواتهم وصنيعاتهم فإنهم الحارقة الآكلة إذا استمكنوا منكم وأوضعوا خِلالكم يبغونكم الفتنة ويَسُومونكم ذُلاً مستوراً يبهرج الاستقلال وتقرير المصير. لا تخافوا مجلس الأمن ولا هيئة الأمم إذا قدمتم إليهم قضيةً فيها كلّ دليل لا يبطله شيء من تاريخ ولا عقل ولا مصلحة.

وأنتم يا إخواننا وأهلنا وعشيرتنا في السودان احذروا الدولة التي تريد استقلالكم، وتريد أن ترعاه لكم، كما رعت غيره من قبل!! فإن «من استرعى الذئبَ ظَلَم»! **محمود محمد شاكر**

معلق بالنوافذ ينظر الوجوه فلا يحفل بهـا ويبصرها كالسرج المطفأة ، لأنه يريد وجهاً واحداً يراه مضيئاً بالسناء ، حتى إذا وسل إليه وصل إلى السعادة ... فهو يذكرها كما رأى المحطة .

وهذه تكرهها لأنها عرفت الشقاء فيها ، وذاقت غصة الحياة بين جدرانها ، فقد كانت سعيدة حتى حل الوداع ، ودنا السفر ، وصحبته إلى المحطة ، فوقفت معه ، ثم سايرته إلى رصيف القطار ، فصعدت معه إليه ، وقعدت تكلمه كما كانت تكلمه كل يوم ، تتحدث بتوافه الأمور ، ولو علمت أن هـذا آخر لقاء ما كان ذاك حديثها ؛ ثم صفر القطار فشـدت على يده وعانقته عناقاً خفيفاً على استحياء من الناس ونزلت ، فوقفت تنظر إليه وهو في شباكه ، والقطار يبتعد .. ولـكنها لا تزال تعيش بقربه لم تذق بعـد طعم الهجر ولم تعرفه ، حتى إذا اختفى عن ناظريها ورأت نفسها منفردة ، صحت كما يصحو النائم من الحلم الممتع ليس في يده شيء منـه ، وتبدلت حياتها السعيدة بالوصال شقاء وألماً ، وانطفأ النور الذي كان يهديها السبيل ، وكانت المحطة هي خاتمة سعادتها ، وهي فاتحة شقائها ؛ فهي تحج إليها كل يوم ، تقوم حيث قام الحبيب آخر مرة ، وتشم عبقه وتتحسس موطئ أقدامه وتبحث عنه حيث تركته في شباك القطار ، وتذكر كل حركة من حركاته ، وكلمة من كلماته ، حتى صار ذلك مدار أفكارها ، وعماد حياتها ، ولـكنها كانت تكره المحطة ، لأنها هي سبب الفراق ...

وما في الدنيا مكان تسفر فيه محجبات العواطف ، وتبرز مكنونات الضمائر كالمحطة ، وما في الأمكنة ما هو أحفل بالذكريات منها ، ففي كل إصبع منها ذكرى عزيزة على قلب ، وقطعة من حياة إنسان .

هنالك تبصر المختلف من ألوان الحياة قد ائتلف في هـذه الصورة المرونقة ، والشتيت قد اجتمع ، وهنالك أمام الحاجز الحديدي ذي الأبواب المؤدية إلى الأرصفة ، لا يفصل باباً عن باب ، ورصيفاً عن رصيف إلا جدار ... ترى جموع الناس في مدّ وجزر ، كما تضرب أمواج البحر صخرة الشاطئ ، يدخل الرجل من الباب فيصل منه إلى البلد الطيب ، ويدخل الآخر من الباب إلى جنبه فيحمله إلى القرية المقفرة ، وهـذا الرصيف فيه لقاء الأحبة ، وهذا فيه الهجر والبعاد ، وكذلك الخطوط في الحياة تتقارب بداياتها وتتباعد نهاياتها :

يتردد الطالب إذ يخرج من المدرسة بين طريقين لا يفصل بينهما إلا القليل ، ولـكن هذا يمشي إلى الجنة وهذا إلى النار ، ويتردد التاجر بين أن يشتري البضاعة أو يدعها ، وما يتردد إلا بين الخسران والضياع والربح واليسار ...

* * *

دخل من باب وخرج من باب ، ولـكن المحطة لم تنظر إليه . فقد رأت من الناس وشاهدت من الأحداث ، وأبصرت من القبل والدموع ، ومن المسرات والأحزان ، ما جعلها تملّ ، فأغمضت عينيها ؛ وتركت هذا السيل البشري يجري على هواه يحمل معه ما شاء من لذائه وآلامه ، ونامت .

دخل شابا في العشرين متوقدا حماسة ، يفور دمه ويتوثب يريد أن يبلغ الذروة بقفزة واحدة ، وخرج شيخا في سن الشباب لا يفور دمه ولا يتوثب ، ولا يريد أن يبلغ الذروة ولا يفكر فيها . لا يفكر إلا في شيء واحد هو أن يرى نفسه نائما على صفحة النسيم ، مرخي الأعصاب ، مغمض العينين ، لا يصنع شيئا ، ولا يعمل فكره في شيء حتى ... حتى يبلغ ساحل الموت .

دخل يحب الشهرة ويطمع فيها ، يريد أن يعرف الناس ويعرفوه ، وخرج زاهدا في الشهرة ، خائفا من تكاليفها ، يفزع من لقاء الناس لا يريد أن يعرف أحدا ولا يعرفه أحد .

دخل المحطة يستقبل الشام ، يدفعه الشوق إليها ، والغرام بها ، يستقبلها ببسمة تبدو من خـلال دموع الفرح ، كما تبدو شمس نيسان من خلال الغمام ، وترك من أجلها مقعده في دار العـلوم ، ومستقبله في مصر وخرج هاربا من دمشق يريد أن يبتعد عنها حتى لا يأسى على ما يرى فيها ، وما يكاد يرى فيها إلا ما يبعث الأسى ...

كان طالبا في المدرسة همه الارتقاء من فصل إلى آخر ، وغايته الامتحان يريد النجاح فيه ، فصـار موظفا لم تعد له غاية يسعى إليها ، ولا هم يفكر فيه فتشابهت أيامه ، وتماثلت لياليه ، وخلت من كل جديد ، يصبح خاملا متكاسلا لأنه لا يرقب في نهاره شيئا ، ويمسي متكاسلا خاملا لأنه لا ينتظر في ليله شيئا ، ولم يعد يجد ما يعمله إلا أن يشغل نفسه ساعة كل أسبوع بالكتابة للرسالة .

لقد كان إنسانا يحس ويشعر ، وكان له عقل يفكر ويدرس ، وقلب يحب ويصبو ، فعودته الوظيفة الكسل ، وسهلت له

العيش ، حتى خلا رأسه من الفكر ، وقلبه من الحب ، ويده من الشغل ، وصار آلة (تمدد أياماً وتقبض راتباً) ، ولكنها لا تستبقى من هذا الراتب شيئاً ، فالكيس أبداً خال من المال .

إنه لا يشكو الفقر ولا المرض ولا التعب ، ولكنه يشكو البطالة ، وأن قواه معطلة ، وأن عقله صدئ ، وأنه كالجواد الأصيل المصفد بالأغلال الذى لا يستطيع أن يتحرك .

هذا هو الرجل الذى خرج من المحطة يوم الخميس الماضى .

إنه مدين بحياته للرسالة ؛ لا لأنها تنشر له وتذيع اسمه ، كلا ، فهذا أمر لم يعد له عنده نفع ؛ بل لأنها هى التى تشعره بأنه حى ، هى التى تجعل له كل أسبوع جديداً يرقبه ويعيش له . إن الأيام عنده السبت والأحد ويوم الرسالة . فاذا انقطع عنها أسبوعاً ، محى من عمره هـذا اليوم الذى يحمّل الأيام ونسى أنه يحيا كما يحيا الناس ، ويأمل فى الحياة أملا .

لقد خرج من باب المحطة إلى البلد الواسع ، ولكنه نايدرى ما يجد فيه ، فالضيق فى النفس لا فى البلد وأعظم المدن للقلب المغلق سجن ، والسجن للقلب المتفتح جنة فيحاء ...

اللهم اشرح قلبه ، وصبّ فيه الحياة ، حتى يجد القراء فى قلبه أدباً حياً ... فإنه لا يخرج الأدب الحىّ قلم ميت ، يمدّه قلب مغلق ...

القاهرة **على الطنطاوى**

على هامش النقد :

القـــاهرة الجديدة

تأليف الأستاذ نجيب محفوظ

للأستاذ سيد قطب

من دلائل « غفلة النقد فى مصر » التى تحدثت عنها فى كلمة سابقة ، أن تمر هذه الرواية القصصية « القاهرة الجديدة » دون أن تثير ضجة أدبية أو ضجة اجتماعية !.

ألأن كاتبها مؤلف شاب ؟ لقد كان « توفيق الحكيم » قبل خمسة عشر عاما مؤلفا شابا عندما أصدر أولى رواياته التمثيلية « أهل الكهف » فتلقاها الدكتور طه حسين ، وأثار حولها زوبعة هائلة . كانت هى مولد « توفيق الحكيم » الأدبى . ولم يمنع كونه فى ذلك الحين شابا من إثارة ضجة حوله ، أبرزت أدبه للناس فانتفعوا به ، كما انتفع هو نفسه لأنه وجد الطريق بعدها مفتوحاً أمامه للنشر والشهرة .

و « القاهرة الجديدة » شأنها شأن « خان الخليلى » للمؤلف نفسه لاتقل أهمية فى عالم الرواية القصصية فى الأدب العربى عن شأن « أهل الكهف » و « شهر زاد » لتوفيق الحكيم فى عالم الرواية التمثيلية .

فماذا حدث ؟

هل صحيح أن الملابسات الشخصية كانت أهم العوامل التى جعلت الدكتور يكشف عما فى « توفيق الحكيم » حينذاك من ذخيرة فنية — ذلك أن ألقى توفيق بنفسه وبأدبه المغمور إذ ذاك فى أحضان الدكتور قائلا : إنه يضع نفسه وفنه ومستقبله بين يدى « عميد الأدب » وأن نجيب محفوظ وأمثاله من شبان هذه الأيام لا يضعون أنفسهم ولا فنهم بين يدى أحد إلا جمهور القراء أنا شخصياً لا أميل إلى قبول هذا الافتراض ؛ ولكنى أقدر أسباباً أخرى طبيعية :

فقبل خمسة عشر عاماً كانت « أهل الكهف » شيئاً فذا يلفت النظر بقوة . كان توفيق الحكيم يخطو خطوة واسعة جداً بالقياس إلى كل من سبقه فى التمثيلية العربية . حقيقة إنه لم يكن يفتح فصلا جديداً فى كتاب الأدب العربى ، كما قال الدكتور طه حينذاك . فهذا الفصل كان مفتوحاً فى الناحية الشكلية . إنما كان الجديد الذى له قيمة فنية حقيقية فى عمل توفيق الحكيم ، هو الانتفاع بالأساطير فى عمل فنى له قيمة أدبية . مع التقدم الواضح فى طريقة الحوار وسبكه وجريانه .

أما اليوم فعمل من نوع « خان الخليلى » و « القاهرة الجديدة » يبدو وليس فيه من البريق مايلفت النظر . فكثيرون كتبوا روايات قصصية ، وروايات تمثيلية ، وأقاصيص ... الخ .

ولكن كان على النقد اليقظ — لولا غفلة النقد فى مصر — أن يكشف أن أعمال « نجيب محفوظ » هى نقطة البدء الحقيقية فى إبداع رواية قصصية عربية أصيلة . فلأول مرة يبدو الطعم المحلى والعطر القومى فى عمل فنى له صفة إنسانية ؛ فى الوقت الذى

لا يهبط مستواه الفنى عن المتوسط من الناحية الفنية المطلقة . فهو من هذه الناحية الأخيرة يساوى أعمال توفيق الحكيم فى التمثيلية .

أم إنه لابد لنجيب محفوظ وأمثاله أن يلقوا بأنفسهم فى أحضان أحد ، ليقدمهم إلى الناس ؟ .

لقد فات الوقت الذى كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة للظهور ، والجمهور لم يعد ينتظر هؤلاء الشيوخ ليقرأ ويحكم . فعلى هؤلاء الشيوخ أن يؤدوا واجبهم إذا شاءوا أن تظل الأنظار معلقة بهم كما كانت الحال ! .

القاهرة الجديدة ...

هى قصة المجتمع المصرى الحديث ، وما يضطرب فى كيانه من عوامل ، وما يصطدم فى أعماقه من اتجاهات .

قصة الصراع بين الروح والمادة ، بين العقائد الدينية والخلقية والاجتماعية والعلمية ، بين الفضيلة والرذيلة ، بين الغنى والفقر ، بين الحب والمال ... فى مضمار الحياة .

وهى تبدأ فى نقطة الارتكاز فى الجامعة ، حيث تصطرع الأفكار الناشئة هناك بين طلابها – بفرض أن الجامعة ستكون هى « حقل التجارب والإكثار » للأفكار النظرية التى تسيّر الجيل ... ثم تدفع بشتى الأفكار والنظريات النابتة فى هذا الحقل ، إلى مضمار الحياة الواقعية ، وغمار الحياة اليومية ، وتصور صراع النظريات مع الواقع خطوة خطوة ، تصوره انفعالات نفسية فى نفوس إنسانية ، وحوادث ووقائع وتيارات فى خضم الحياة .

وصفحة فصفحة نجدنا فى صميم الحياة المصرية اليومية . هذه الأفكار المجردة نعرفها ، وهذه الوجوه شهدناها من قبل ؛ وهذه الحوادث ليست غريبة علينا . نعم فيها شىء من القسوة السوداء فى بعض المواقف ، ولكنها فى عمومها أليفة . تؤلمنا ولا ننكرها ، وتؤذينا أحيانا ، ولكننا نتقبلها !

هذا هو الصدق الفنى . فنحن نعيش فى الرواية لحظة لحظة . نعيش مصريين ، ونعيش آدميين ، وفى المواقف القاسية ، فى مواقف الفضيحة ، حيث تبدو الرذيلة كالحة شوهاء مريرة ، نود لو نديرأعيننا عنها كيلا نراها ، ولكننا نقبل عليها مضطرين فى القبيح جاذبية ! . إنها الدمامل والبثور فى جسم مصر وفى جسم الإنسانية كذلك ، وإذا انفعلنا لهامرة لأننا مصريون ، انفعلنا لها أخرى ، لأننا ناس وإنسانيون .

***

لقد اختار المؤلف من بين طلاب الجامعة أربعة ليمثلوا الأفكار والاتجاهات التى تتصارع فى المجتمع الحديث ... !

الإيمان بالدين والخلق والفضيلة عن طريقه ، والالتجاء إليه طلباً للخلاص .

والإيمان بالمجتمع والعدالة الاجتماعية ، والصراع العملى لتحقيق الفضيلة الاجتماعية والشخصية من هذا الطريق .

والإيمان بالذات ، وعبادة المنفعة ، وتسخير المبادئ والمثل والأفكار جميعاً لخدمة هذا الإله الجديد !

وموقف المتفرج الذى يرقب هذا وذاك وذلك لمجرد التسجيل والنظر والمشاهدة ... !

ونستطيع أن نلمح فى ثنايا الرواية وفى خاتمتها ميل المؤلف لأن ينتصر للمبادئ على كل حال ، وأن يحقر الإيمان بالذات والتدهور الخلقى والاجتماعى ، والقذارة ، والانحلال .

ولكنه لم يلق خطبة منبرية واحدة فى خلال ثمانين ومائة صفحة ولم يفتعل حادثة واحدة افتعالا ....

لى بعض الملاحظات على سياقة بعض الحوادث وشكلها . فقد كان فيها قسوة فى مواجهة صاحب الإيمان الثالث بالتجارب التى يحك عليها إيمانه ومبادئه ! قسوة لم تكن الرواية فى حاجة إليها لتصل إلى أهدافها ... ولكنها على كل حال بعيدة عن التزوير والافتعال .

فمثلا هـذا الشاب الذى أسماه « محجوب عبد الدايم » ؛ ووصفه فى هذه السطور :

« كان صاحب فلسفة استمارها من عقول مختلفة كما شاء هواه ، وفلسفة الحرية كما يفهمها هو ؛ و « طظ » أصدق شعار لها . هى التحرر من كل شىء ، من القيم والمثل والعقائد والمبادئ ، من التراث الاجتماعى عامة ! وهو القائل لنفسه ساخراً : إن أسرتى لم تورثنى شيئاً أسعد به ، فلا يجوز أن أرث عنها ما أشقى به ! ، وكان يقول أيضاً : إن أصدق محاولة فى الدنيا هى :

الدين + العلم + الفلسفة + الأخلاق = طظ ، وكان يفسر الفلسفات بمنطق ساخر يتسق مع هواه . فهو يعجب بقول ديكارت : « أنا أفكر فأنا موجود » ويتفق معه على أن النفس أساس الوجود ! ثم يقول بعد ذلك إن نفسه أهم ما في الوجود ! وسعادتها هي كل مايعنيه ؛ ويعجب كذلك بما يقوله الاجتماعيون من أن المجتمع خالق القيم الأخلاقية والدينية جميعاً . ولذلك يرى من الجهالة والحمق أن يقف مبدأ أو قيمة حجر عثرة في سبيل نفسه وسعادتها ! وإذا كان العلم هو الذي هيأ له التحرر من الأوهام ، فليس يعني هذا أن يؤمن به أو أن يهبه حياته ؛ ولكن حسبه أن يستغله وأن يفيد منه ؛ فلتكن سخريته من رجال العلم دون سخريته من رجال الدين ، وإنما غايته في دنياه : اللذة والقوة بأيسر السبل والوسائل ، ودون مراعاة لخلق أو دين أو فضيلة .

لقد استعار هذه الفلسفة بإرشاد هواه ، ولكن تهيؤه لها نما معه منذ أمد بعيد . فهو مدين بنشأته للشارع والفطرة ؛ كان والداه طيبين جاهلين ، ولظروفهما الخاصة ، أتم تكوينه في طرق بلدة القناطر ، وكان لداته صبية شطاراً ينطلقون على فطرتهم بلا وازع ولا تهذيب . فسب وقذف وسرق ، واعتدى واعتدي عليه ، وتردى إلى الهاوية . ولما انتقل إلى جو جديد — المدرسة — أخذ يدرك أنه كان يحيا حياة قذرة ، وعانت نفسه مرارة العار والخوف والقلق والتمرد . ثم وجد نفسه في بيئة جديدة ، طالباً من طلاب العلم بالجامعة ، ورأى حوله شباناً مهذبين يطمحون إلى الآمال البعيدة والمثل العالية ، ولكنه عثر كذلك على نزعات غريبة ، وآراء لم تدر له بخلد . عثر على مونة الإلحاد والتفسيرات التي يبشر بها علماء النفس والاجتماع للدين والأخلاق والظاهرات الاجتماعية الأخرى ؛ وسر بها سروراً شيطانياً ، وجمع من مخالبها فلسفة خاصة اطمأن بها قلبه الذي نهكه الشعور بالضعة . لقد كان وغداً ساقطاً مضمحلا ؛ فصار في غمضة عين فيلسوفاً ! المجتمع ساحر قديم . جعل من أشياء فضائل وجعل من أشياء رذائل ، ولقد وقف على سره وبرع في سحره ، وسيجعل من الفضائل رذائل ، ومن الرذائل فضائل ، وفرك يديه سروراً ، وذكر ماضيه أطيب الذكر ، ورمق مستقبله بعين الاستبشار ، وألقى عن عاتقه شعور الضعة . بيد أنه أدرك منذ اللحظة الأولى أن فلسفته فلسفة سرية . يجوز أن يدعو « مأمون رضوان » إلى الإسلام جهاراً ، ويجوز أن يعلن « علي طه » اعتناقه لحرية الفكر والاشتراكية . أما فلسفته هو فينبغي أن تظل سرية — لا احتراماً للرأي العام ، فإن من مبادئها احتقار كل شيء — ولكن لأنها لا تؤتي أكلها إلا إذا كفر الناس بها وآمن بها وحده ! ألا ترى أنه إذا آمن الناس جميعاً بالرذيلة لم يتميز بينهم بما يتيح له التفوق عليهم ؟ لذلك احتفظ بها لنفسه ، ولم يعلن منها إلا ما هو في حكم المونة كالإلحاد وحرية الفكر ؛ إلا إذا ضاق صدره أو غلبه شعور الوحشة ، فإنه ينفس عن قلبه بالمزاح والسخرية . فبدا للقوم ساخراً ماجناً ، لا شيطاناً مجرماً ، ومضى في سبيله شاباً فقيراً بلا خلق ، يرصد الفرص ويتوثب للانقضاض عليها بجرارة لا تعرف الحدود » .

وهو تصوير معجب لشخصية هذا « النموذج » ، وقد صور زملاءه كذلك — كما صور كل شخصية جاءت في الرواية — ويعجبني فيه ذلك التعليل الصامت لاتجاهات « محجوب عبد الدايم » وزملائه . إنهم كلهم في جامعة واحدة ، يدرسون نظريات واحدة ، ويخضعون لمؤثرات واحدة ، ولكن كلا منهم يختط طريقه في التفكير والحياة بحكم مزاجه ووراثاته ورواسب شعوره ، ويخلق لنفسه فلسفة يعتمد فيها على نفس الأسباب والعلل التي يعتمد عليها الآخرون في تكوين فلسفة مغايرة ! ويصدق سلوكهم فيما بعد هذه القواعد أيضاً .

حقيقة إن محجوب عبد الدايم لم يكن في سلام مع شعوره دائماً وهو يواجه التجارب . فالنظريات شيء — مهما يكن الاقتناع بها ، ومهما تكن بواعثها — والتجارب العملية شيء آخر . ولكنه سار إلى نهاية الشوط ، ولم يقف إلا حين صدمته أنانية أخرى ففضحته ، وحين انفضحت الرذيلة في القصة لم يكن ذلك ليقظة في ضمير المجتمع فهو مجتمع مريض . وإنما كانت غلبة رذيلة على رذيلة ! !

ولكن — كما أشرت من قبل — آخذ على المؤلف قسوة لم تكن لها ضرورة في بعض التجارب التي تواجه هذا الشاب . لقد خيرته الظروف بين أن يبقى بلا وظيفة . أو أن يكون

فى وظيفة مغرية (سكرتير وكيل وزارة ثم مدير مكتب حينما يصبح وزيراً) بثمن! هو فى ذاته فادح. أن يتزوج بفتاة عبث بها الوكيل الوزير!

وأدى الثمن – حسب فلسفته – وتسلم البضاعة. وكان هذا حسبه، وكان حسبه أن يقبل الوضع مموهاً من الخارج وهو يدرك حقيقته. ولكن المؤلف جعله يواجه الموقف سافراً بلا تمويه. أيقبل أن يكون زوجاً للفتاة التى هذا موقفها؟ ... ثم أيقبل أن يكون مقره « جرسونيرة » البك، وأن يواصل البك مابدأ به وفى يوم سين بعلمه محجوب وعليه أن يغادر البيت فيه؟!

هذه قسوة لا مبرر لها ولا ضرورة. ومثلها أن تزف إليه (الفتاة) بلا احتفال. وكان من كمال السخرية أن يكون الاحتفال فخماً!

وشىء آخر آخذه على الرواية: لم جعل الفتى المؤمن المتدين لا تصطدم نظرياته بواقع الحياة؟ لقد اصطدم « على طه » صاحب الإيمان بالمجتمع. اصطدم فى قلبه وشعوره. فقد كانت هذه الفتاة التى زفت إلى زميله هى فتاة أحلامه وموضع إيمانه الاجتماعى. ولكنه احتمل الصدمة ومضى يؤمن بالمجتمع الكبير. واصطدم محجوب صدمات شتى وجف لها واضطرب، ولكنه احتملها فى سبيل ذاته المقدسة! فلم لم يصطدم أبداً « مأمون رضوان »؟

هل يريد المؤلف أن يقول: إن إيمانه القوى بالله والدين والرجولة قد أعفاه من الاصطدام، كلا. إن المجتمع الفاسد المنحل الذى صوره فى مصر – والذى هو مع الأسف واقع – لا بد أن يصطدم به كل صاحب إيمان، سواء كان إيماناً بالمجتمع أو حتى إيماناً بالحياة!

ربما لاحظ أن التنسيق الفنى يحتم عليه ألا يبرز على المسرح إلا شخصية واحدة رئيسية. ولكن لا. فالرواية القصصية من طبيعتها أن تسمح لأكثر من شخصية بالبروز، والتنسيق الفنى يتحقق بتنويع درجات البروز.

هذه نقطة من نقط الضعف فى الرواية، كالنقطة الأولى كذلك.

* * *

وبعد فهناك صفحات رائعة قوية فى تصوير المجتمع المصرى وما فيه من انحلال يشمل الطبقات الارستقراطية ودوائر الحكومة وآلام الفقر والثراء، وآفات المظاهر والرياء ... الخ، ولكن يضيق عنها المقام، وأنا معجل عنها إلى مسألة أخرى لها أهميتها فى وزن الرواية، وفى وزن كل عمل فنى.

إن هذه الرواية على ما فيها من براعة فى العرض، ومن قوة فى التصوير – تصوير النماذج وتصوير المجتمع وتصوير المشاعر والانفعالات – هى أصغر من قيمتها الإنسانية – وتبعاً لهذا فى قيمتها الفنية – من سابقتها « خان الخليلى ».

رواية خان الخليلى أضيق فى محيطها الداخلى ولكنها أوسع فى محيطها الخارجى. أضيق فى المجال الذى تعالجه وتضطرب فيه حوادثها. فهى قصة أسرة تفر من الموت بالقنابل فيخترم الموت أجمل زهراتها بلا قنابل! وقصة قلب إنسانى شاخ قبل الأوان فانطوى على نفسه ورضى بنصيبه، فإذا الأقدار تخايل له بقطرة ندية فيندى، ثم تجف هـذه القطرة قبل أن تبلغ فاه. يرشفها منه أعز إنسان عليه: أخوه المستهتر السادر. وحينما يجد هذا المستهتر ويقومه الحب العميق، تخطفه الأقدار فيموت!

ولو استأنت الأقدار لحظة هنا أو هناك، ولو تغير خيط واحد فى ذلك المنوال الأبدى لتغير وجه الحياة.

أما رواية « القاهرة الجديدة » فتعالج جيلا وتصور مجتمعاً. ومجالها مع هـذا أضيق من مجال « خان الخليلى »!

فى « خان الخليلى » نتهى من الرواية لنجد أنفسنا أمام رواية الحياة الكبرى: الإنسانية والأقدار، الضعف الإنسانى والقوى الكونية، أشواق الناس وأهدافهم أمام الغيب المجهول.

وفى « القاهرة الجديدة » نبدأ وننتهى، ونحن أمام جيل من الناس ومجتمع قابل للزوال، فلا تبقى إلا بعض الملامح الإنسانية الخالدة.

المجال هناك أوسع لأنه خالد بخلود الإنسان. والقيمة الإنسانية هناك أكبر، وهى جزء من القيمة الفنية له أثره فى وزن الرواية، وراء المهارة الفنية فى العرض والتنسيق والاختيار.

سيد قطب

في ركب الوحدة العربية :

الأدب في فلسطين ...

للأستاذ محمد سليم الرشدان

— ٥ —

مع الأدباء الصحفيين من أهل النثر :

قبل أن أمضي في الحديث عن (الأدباء الصحفيين) لا بدلي من البر بوعد قطعته على نفسي في الفصل الماضي ، وهو أن أسرد آثار الأستاذين الأخيرين ، ممن تحدثت عنهم في (الأدباء العاملين) فأقول : إن للأستاذ عبد الله الريماوي — عدا كتبه المدرسية — كتباً أخرى عديدة بين علمية وأدبية ، أذكر منها : (العقل في طريق التكوين) ، وقد ترجمه عن كتاب إنجليزي للأستاذ (جيمس هارفي روبنسن) أسماه Mind in the Making وهو شرح مستوفى للحلقات التي تكون تاريخ الفكر البشري . ثم كتابه : (من طاليس إلى ناغاساكي) ويبسط فيه بشكل مختصر الأبحاث العلمية في حقل الكيمياء والفيزياء ، التي انتهت أخيراً باكتشاف القنبلة الذرية . ثم كتابه (الحضارة العلمية) ، وفيه يحدد العلم في منابعه وأسلوبه ، ويبين مكان العلم وحضارته بين مظاهر الفكر البشري . فيبحث علاقته بالفلسفة والدين والفن والإجتماع ، وينتهي — بعد ذلك — ببحث رسالة العلم للانسانية .

ومن كتبه الأدبية : كتابه « مجمع المباقرة » ، وفيه يعالج كثيراً من المشاكل الإجتماعية ، ثم كتابه « تلك الأيام » وهو قصة يبسط في ثناياها الوضع الراهن في البلاد ، وينتقد أساليب التوجيه والغاية التي تهدف إليها .

وأما الأستاذ على شمت ، فله كتابان أخرجهما للناس ، أولهما (من طرائف العلماء) وفيه يتخير عدداً من أساطين العلم ، الذين ساهموا في بناء صرحه الشامخ ، منذ فجر الإنسانية البعيد ، حتى ينتهي إلى علماء النهضة الحديثة في أوربة ، ويعرج في خلال ذلك على بعض أعلام العرب النابهين في هذا الميدان . وأما كتابه الثاني فهو : « من البنسلين إلى القنبلة الذرية » ، وفيه شرح بأسلوب فريد أخاذ للمراحل التي اجتازها العلم في تذليل العقبات الكأداء ، وإزالة المراقيل المؤذية من طريق الإنسانية . كما يورد فيه كثيراً من التنبؤات المبهجة ، التي ينتظر أن يحققها العلم عن طريق القوة ، إذا استمر في سيره قدماً ، ولم يحل بينه وبين ذلك عارض مفاجيء . وللأستاذ شمت — فيما عدا ذلك — كثير من الأبحاث القيمة التي كثيراً ما حاضر أو أذاع بها في الأندية الثقافية في البلاد ، ومن دار الإذاعة الفلسطينية ...

الأدباء الصحفيون :

وحين أتحدث عن (الأدباء الصحفيين) ، لا بد لي من أن أعود بالقارىء إلى عام ١٩١١ ، لأقفه حيال شابين أخوين في مدينة يافا ، قد نهلا من الثقافة ما كشف لهما طريق الجهاد في سبيل وطنهما المغلوب على أمره ، فإذا هما يستهدفان خدمته عن طريق الصحافة ، وينشئان من أجل ذلك جريدتهما (فلسطين) ويكون أحدهما وهو الأستاذ عيسى العيسى (رئيس التحرير) ، والآخر وهو الأستاذ يوسف العيسى (المدير المسؤول) ، وتمضي جريدتهما في طريق محفوف بأشواك العنت التركي ، وإرهاق التحكم والاستبداد .

فقد أوقفت الحكومة التركية الجريدة بتهمة (التحريض العنصري) ، وذلك حين نبهت للخطر الصهيوني في تلك الأيام . ولكن المحكمة برأت ساحتها حين أثبتت أن مقاومة الحركة الصهيونية ليس معناه مقاومة اليهود .

وقد توقفت هذه الصحيفة (النصف أسبوعية) حين قامت الحرب الأولى ، فتفرق الأخوان ، إذ نزح أحدهما — وهو الأستاذ يوسف العيسى — إلى دمشق ، وهناك اتصل بجلالة المغفور له (الملك فيصل) فيما بعد ، وأخلص له الخدمة ، ثم أسس جريدة يومية ، تناصر المليكية وتعمل من أجلها ، وهذه الجريدة هي : (ألف باء) الغراء ، التي ما تزال تصدر في دمشق إلى اليوم ، وهي من أكثر الصحف انتشاراً هناك . وأما جريدة (فلسطين) فقد استأنفت صدورها في يافا بعد الحرب الأولى ، واستمرت نصف أسبوعية حتى عام ١٩٢٩ ، فصدرت يومية ، وما تزال

كذلك . وهى اليوم من أمهات الصحف عندنا ، وصاحبها الأستاذ عيسى العيسى — الذى هو شيخ الصحفيين بلا منازع — يعتبر من الأدباء المعدودين فى الشكاز الرفيع .

وأما الأستاذ يوسف العيسى ، فإنه عرف فى سوريا كما عرف فى فلسطين ، وقد التمع فى البلدين معاً . وكان — وما زال — منذ أصدر جريدته يتولى كتابة افتتاحيتها بنفسه ، ثم يكتب بالإضافة إلى ذلك فصلا انتقاديا ؛ يعالج فيه كثيراً من المشاكل الاجتماعية ، ويجعله تحت عنوان (مباءة بحل) .

وقد اجتمع لدى الأستاذ من هذه الفصول مجلدات قيمة ، فى أبحاث مختلفة . منها ما هو فى السياسة ، ومنها ما هو فى النقد ، ومنها ما هو فى الأدب . وقد حدثنى الأستاذ فى صيف هذا العام (فى دمشق) ، أن لديه إلى جانب ذلك كله مذكرات يحرص عليها أشد الحرص ، ويعنى بترتيبها أتما عناية ؛ وقد أسمعنى بعضها وكان مما نشر فى جريدته إبان عهدها الأول .

ويعجبك من (هذا الأستاذ) نشاطه الدائم ودأبه المتواصل وهو برغم هذا الإنصراف الشديد — الذى ينصرف للصحافة — ما تكاد تجلس إليه حتى تلمس فيه روح الأديب الفذ ، إذ ما يتناول القول عن شىء ، حتى يستشهد بحكمة أو مثل أو أبيات من الشعر وإليك شاهدا على ذلك من كلمته الافتتاحية فى العدد (٧٢٥٧) وعنوانها : « هذا عتابك إلا أنه مقة » ويقول فيها :

« إن أحسن مثل يضرب للصحف فى هذه الأيام ، هو ما قالته العرب : (مثقل استعان بذقنه) ، وهو الجمل يثقل حمله فيعجز عن القيام به . وهذه حالة الصُّحف يثقل حملها فى جميع أبواب نفقاتها ، فتمد عنقها إلى الحكومة ، فتكون (كالمستجير من الرمضاء بالنار) .

إن التحكم والاستبداد بمقدرات الصحافة ، أن تطلب جلب الورق فلا يسمح لها بذلك ، وأن تنضب مستودعات الحكومات فلا تجد ما تقدمه للصحف من الورق . أليس هذا ما يسمونه بـ (نقص القادرين على التمام) ؟ ... »

وقد نبهنى الأستاذ خليل مردم بك إلى أديب صحفى آخر ، عاش فى دمشق شطراً من عمره ومات فيها . وهذا الأديب هو الأستاذ (أحمد شاكر الكرمى) نسبة إلى « طولكرم » وهى بلدة فى فلسطين ، عرف أهلها بثباتهم الذى يبلغ حد العناد ، وعروبتهم الأبية الصادقة ، وإيمانهم الذى لا يتزعزع . وقد نشأ هذا الأديب فى عائلة توارثت (العلم والأدب والقضاء والافتاء) كابراً عن كابر ، فأبوه قاضى القضاة الشاعر الناثر الشيخ (سعيد الكرمى) ، وأخوه الشاعر الأستاذ (محمود الكرمى) ، وأخوه أيضاً الشاعر اللامع الأستاذ (عبد الكريم الكرمى) المعروف بـ (أبى سلمى) . وسأتحدث عنهم جميعاً حين أتحدث عن شعراء فلسطين .

وقد أكمل الأستاذ (أحمد شاكر الكرمى) ثقافته فى الأزهر والجامعة المصرية . وهنالك بدأ حياته الأدبية بالكتابة فى جريدة (الكوكب) . ثم سافر إلى الحجاز ، وعمل هنالك محرراً فى جريدة (القبلة) ، ثم رجع منها إلى دمشق ، وحرر هنالك فى جريدة الفيحاء . ثم أصدر بعد حين مجلة (الميزان) أدبية سياسية . واستمر فى إصدارها حتى عام ١٩٢٧ . وإذ ذاك اختصرته يد المنية وهو ما زال فى ريعان شبابه .

وله كتب مطبوعة ومخطوطة . منها كتابه (الكرميات) وهو مجموعة خواطر وآراء كلها قيم ، ثم قصص مترجمة عن الإنجليزية ، منها « خالد » ، وفيها تفصيل عن الصحراء ، وسرد لما يقع فى جنباتها . ثم « الوردة الحمراء » وهو سورة من الأدب الخالد ، ومؤلفها الكاتب الذائع الصيت (أوسكار وايلد) . ثم كتب فى النقد ، ومعظمها نشرت مادته فى الصحف التى عاصرته ، وكانت بتوقيع « قدامة » ، وهو الإسم الذى كان يحتجب وراءه .

وقد كان حجة فى اللغة العربية ، يراعى فى أسلوبه التحرر من قيود الرجعية والجمود . وحسبك أن يعترف له بفضل السبق علماء أجلاء ، كالمازنى والعقاد ، وقد صدر عنهما ذلك فى حفل أقيم فى مصر ، وشهده أخوه (أبو سلمى) الذى نقل إلى طرفاً من حديثهما عنه حينذاك وثنائهما عليه وكالأستاذين خليل مردم بك ، والشيخ المغربى فى دمشق ، وقد حدثانى عنه حديثاً يستشف منه إعجابهما به وتقديرهما له .

وهنالك أدباء صحفيون كانوا هم الطليعة الأولى فى هذا الميدان . منهم الأستاذ رشدى شمث صاحب مجلة (النهل) ، ثم الأستاذ جميل البحرى صاحب مجلة (الزهور) ، ثم الأستاذ حنا العيسى صاحب مجلة (الأصمعى) ، ثم الأستاذ خليل بيدس صاحب مجلة (النفائس) . وسوف أتحدث عنه مفصلا حين أتحدث عن (الأدباء القصصيين) إذ هو أحدهم . ثم الأستاذ نجيب نصار صاحب (الكرمل الجديد) ، ثم الأستاذ بولس شحادة صاحب

(مرآة الشرق) ، ثم الأستاذ الشيخ على الريماوى وهو مؤسس أول مجلة فى فلسطين وهى مجلة (بيت المقدس) . وحين أوقفت لأسباب سياسية أسس جريدة (النجاح) . ولكنه شغل عنها بعد ذلك بالسياسة . فسافر إلى الآستانة مبعوثاً عن قضاء القدس وهنالك تعرف إلى كثيرين وعرفوا أدبه القيم . وهو شاعر فحل وسأورد نماذج من شعره حين أتحدث عن الشعراء .

ثم الأستاذ الشيخ سليمان الفاروقى . وهو مؤسس جريدة (الجامعة الإسلامية) التى صدرت عام ١٩٣٣ ، واستمرت حتى عام ١٩٣٧ م توقفت بعد ذلك بسبب إرهاق الحكومة لها . والأستاذ الفاروقى أديب مطبوع ؛ درس فى الأزهر ثم فى جامعة الحقوق فى الآستانة ؛ ثم اشتغل بالمحاماة أمداً من عمره ؛ وله شعر ونثر نجملانه فى نظر المعجبين بأدبه (معرى فلسطين) ؛ وهو خطيب مصقع إذا تحدث (مرتجلا) ظننته يغترف من بحر ، وإذا (أملى) حسبته يستلهم من وراء الغيب . وإليك أبياتاً من شعره ، تلمس فيها الكثير من سخطه ، وتتحسس بين ثناياها يأسه المرير وهى قوله:

ولما رأيت الناس ضلت حلومهم
فلا أحــــد يهدِى ولا أحد يهتدى
رثيت وجوه الناس قد غاض ماؤها
فلا وجنــــة تحمر أو جبهة تندى
يئست من الإنســان ! إنى وجدته
يصيب الهدى سهواً ويغشى الأذى عمداً

وأما نثره فإنه يحلق فيه إلى الذروة ؛ وإليك بعض ما يقوله فى كلمة عنوانها « الضحايا » يفتتح بها عدد العيد الممتاز الصادر فى صباح (١٥) آذار « مارس » عام ١٩٣٥ وقد جاء فيها :

« إذا خلا وجه الدهر لأمة ، فبسطت على العالم أجنحتها ، وسلكت الشعوب بدينها ومدنيتها ، وحشرتها فيها كأن لم تكن من قبل ذكرت ، وإذا ملأت أمة الماء عوائم ، والهواء حوائم ، والأرض ذوابل وصوارم ، والتاريخ جـائم وعظائم ، حقت بالعيد وجدرت ، وقمنت بالفخر إذا افتخرت ... ليس العيد أن تلبس كفنك ، وتعبد وثنك ، وتجرى باطلك — سادراً — رسنك . وليس العيد ثوباً تستغشيه ، وعملا تؤديه ، أو مثالا تحتذيه . وإنما العيد حظ الروح ، وسمو القلب ، وإنما العيد فجوة ما بين جزأى التاريخ ، من كد وجهاد ، وراحة وجمام ؟

وهنالك (أيضاً) من الأدباء الصحفيين الأستاذ منيف الحسينى صاحب جريدة (الجامعة العربية) ، ثم الأستاذ عبد الله القلقيلى صاحب (الصراط المستقيم) ، ثم الأستاذ عيسى بندك صاحب جريدة (صوت الشعب) .

وهنالك جرائد محتجبة كثيرة كان يساهم فى تحريرها أدباء بارزون أذكر منها : « الكفاح » و « اللواء » و « الشباب » و « المطرقة » .

وقبل أن أختتم الحديث فى هذا الفصل لا بد لى من أن أشير إلى أديب فلسطينى اتخذ القاهرة له داراً ، وأسس فيها جريدته : (الشورى) ثم جريدته (الشباب) ، وقد توقفتا كلتاهما ، بعد أن كافح فيهما ونافح وجاهد جهاد الأبطال ، وذلك الأستاذ هو الأديب المجاهد (محمد على الطاهر) رد الله غربته .

(للتكلمة)

محمد سليم الرشدان
ماجستير فى الآداب واللغات السامية

قُطْرَبُّل (*)

للأستاذ شكري محمود أحمد

قرية بين بغداد وعُكْبرا : تنسب إليها الخمور وتكثر فيها المعاصر والحانات لكثرة ما فيها من الكروم . لذلك أمّها المجان، وطلبها أهل الفتك ، وتطرح فيها الخلعاء ، حتى فتنوا بغلمانها ، وشغفوا بظبيانها ، فكثر ذكرها في شعرهم ، ودار اسمها في قصصهم .

كانت في أنزه موضع وأجمل موقع ، تركب كاهل دجلة ؛ وتحاذي الصَّراة التي يفصل بينها وبين بادوريا ، هي في غربه وبادوريا في شرقه .

جمالها الضاحك الطروب جذب قلوب الشعراء فمالوا إليها ، واحتفظت بالمجان حتى عكفوا يرتضعون دَرّ الكأس ، ويبثون النفس في صبوح ضاحك ، وغبوق دافق بالمتع واللذاذة ، فطوراً هم بدجلة يصطبحون ، وطوراً بالصراة يغتبقون .

ولقطربل أخبار ، وفيها أشعار — كما يقول ياقوت — في وسعه أن يجمع كتاباً في أجلاد يسجل أخبار الخلعاء والمجان والشعراء والبطالين والمتفجرين في هذه المدينة[1] .

تشوق إليها إبراهيم المدبر ، وطرب لذكراها قائلاً :

طربت إلى قطربل وبلشكر
وراجعت عما لست عنه بمقصر[2]

وحن لها البحتري فاهتز لمنظرها وقد بدت له مع الشروق ، فقال في مدح ابن المدبر :

وقد ساءني أن لا يهيج من صبابتي
سنا البرق في جنح من الليل أخفر
وأنسى بهجر للمدام وقد بدا
لي الصبح من قطربل وبلشكر[1]

ووصفها الببغاء الشاعر ، ذاكراً مواطن التنزل والصبابة ، ومنازل اللهو والبطالة ، ومعاهد الأنس واللذة ، فقال يذكرها ويذكر كلواذى ، هي شمال بغداد ، وكلواذى في جنوبها :

كم للصبابة والصبي من منزل
ما بين كلواذى الى قطربل
راضمتُ فيه الكأس أهيف ينثني
نحوى بجيد رشاً وعيني مُغْزِل[2]

ذكرها جَحْظة البرمكي ، وما فيها من الخمور التي تعطر في كل حين بقوله :

قد أسرفت في العذل مشغولة بعذل مشغول عن العذّل
تقول هل أقصرت عن باطل أعرفه عن دينك الأول
فقلت : ما أحسبني مقصراً ما أعصرت خمر بقطربل
قالت : فأين الملتقى بعد ذا فقلت : بين الدن والمنزل[3]

أما الحسن بن هانيء فقد أكثر من ذكرها ، وأطال من حديثها ، لأنها كانت مسارب لهوه ، ومواطن خلاعته . فوصف حاناتها ورياضها ، وخمرها وسقاتها ، وذكر صحابته فيها . بل إنه أراد أن يدفن فيها .

خليليَّ بالله لا تحفرا لي القبر إلا بقطربل
خلال المعاصر بين الكرو م ولا تدنياني من السنبل
لعلي أسمع في حفرتي إذا عصرت ضجة الأرجل[4]

كان الكرخ مصيفه ، وقطربل مربعه ، ترضعه درها ، وتلحفه بظلها .

قطربل مربعي، ولي بقرى الكر خ مصيف ، وأمي العنب
ترضعني درها وتلحفني بظلها ، والهجير يلتهب[5]

(*) قطر بل بالضم ثم السكون ، ثم فتح الراء وباء موحدة مشددة مضمومة ولام . وقد روى بفتح أوله وطائه ، أما الباء فشددة في الروايتين ، كانت إحدى طاسيج بغداد وهناك موضع مقابل مدينة آمد بديار بكر ، قال فيها محمد بن جعفر الحلي :

يقولون ما قطربل فوق دجلة هدمتك ألفاظاً بغير معان
أقلب طرفي لا أرى النفس دونها ولا النخل باد في قرى البردان

(١) معجم البلدان ج ٧ ص ١٢٣ .

(٢) ياقوت ج ٢ ص ٢٧٠ وبالشكر من قرى البردان قرب بغداد تكاد تتصل بقطر بل

(١) ياقوت ج ٢ ص ٢٢٠ .

(٢) ياقوت ج ٧ ص ١٢١ .

(٣) ياقوت ج ٧ ص ١٢١ .

(٤) ديوان أبي نواس طبعة أصاف ص ٣٢٣ .

(٥) الديوان ص ٢٤٢

وهو في القصيدة الآتية يعرض وصفها ، فيذكر حانته بين الجنان الحدائق ، في تلك الرياض المحفوفة بالشقائق ، وندمانه الغر الكماة الذين ذل لهم الدهر ، وساقيه الغرير المتوج بالريحان :

وبمجلس خمار إلى جنب حانة ... بقطربل بين الجنان الحدائق
تجاه ميادين على جنباتها ... رياض غدت محفوفة بالشقائق
أقمنا بها مع فتية خضعت لهم ... رقاب صناديد الكماة البطارق
بمشمولة كالشمس يغشاك نورها
إذا ما تبدت في نواحي المشارق
يدور بها ظبي غرير متوج
بتاج من الريحان ملك القراطق
إذا ما جرت فيه تغنى وقال لي
بسكر : الاهات اسقنا بالدوارق (١)

وقد كان أبو نواس معجباً بخمارها « ابن أذين » (٢) لأن هذا الخمار كان ظريفاً لبقاً مساعداً ، عنده شراب عتيق ، وغلمان صباح (٣) . وقد ذكره في شعره قائلاً :

اسقني يا ابن أذين ... من سلاف الزرجون (٤)
اسقني حتى ترى بي ... جنة غير جنون
عتقت في الدن حتى ... هي في رقة ديني
ولنا ساق عليه ... حلة من ياسمين (٥)

ويجمل الشرب في قطربل على الورد في نيسان ، لأن شرابها عتيق ، وليشرب الأغمار من العسل :

اشرب على الورد في نيسان مصطبحاً
من خمر قطربل حمراء كالكاذي
واخلع عذارك لا تأتي بصالحة
ما دمت مستوطناً أطراف بغداد
نعم شبابك بالخمر العتيق ولا
تشرب كما يشرب الأغمار في ماذي (٦)

(١) الديوان ص ٣٠٧ .
(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار للعمري ص ٣٦٢ .
(٣) ذكر هذا الخبر عدا العمري ابن منظور في الجزء الثاني من كتابه « أخبار أبي نواس » الذي سننشره لطبعه هذا العام .
(٤) الزرجون فارسية مركبة من « زر » أي الذهب و « كون » أي اللون .
(٥) في الديوان أحمد عصر يمنا .
(٦) الديوان ص ٢٧٣

وما كان يطيب المقام لأبي نواس في موضع من مواضع القصف والفتك على كثرتها إلا بقطربل فإنها كانت منقلبه ومرجعه .

ذكر ياقوت في الكلام على القفص (١) بعد ما عرف بهذا الموضع ؛ وذكر ما قيل فيه من الأخبار والأشعار قصيدة لأبي نواس هي :

رددتني في الصبي على عقبي ... وحث أهلي الرجوع في أدبي
لولا هواؤك ما اغتربت ولا ... حطت ركابي بأرض مغترب
ولا تركت الشام بين قرى الكر ... خ فبصرى فالجوسق الخرب
وبأظربجي فالقفص ثم إلى ... قطربل مرجعي ومنقلبي
ولا تخطيت في الصلاة إلى ... تبت يدا شيخنا أبي لهب (٢)

وذكر ياقوت هذا الموضع في الكلام على « بنا » وأورد قصيدة لأبي نواس فيها وصف جميل لخمر قطربل يجمل أن نضعها بين أيدي القراء هي (٣) :

سقيا لبنا (٤) ولا سقيا لبانات ... سقيا لقطربل ذات اللذاذات
وإن بها بنات الكرم ما تركت ... منها الليالي سوى تلك الحشاشات
كأنها دمعة في عين غانية ... مرهاء رقرقها ذكر المصيبات
تنزو إذا مسها قرع المزاج كما ... تنزو الجنادب أوقات الظهيرات
وتكتسي لؤلؤات من تمطقها ... عند المزاج شبيهات بواوات

ومر ذكر هذه القرية في مواطن كثيرة من شعر أبي نواس غير ما ذكرنا . ويجمل بنا أن نثبت أخيراً هذه القصة التي ذكرها السولي عن بعض بني نوبخت ورواها ياقوت في معجمه (٥) قال : لما انصرف أبو نواس من مصر في طريقه إلى العراق ، اجتاز بمدينة حمص ، فرأى كثرة خمارها وشهرة شرابها . فأقام بها مدة يغتبق ويصطبح ، وكان بها خمار يهودي إسمه « لاوى » فقال لأبي نواس : كيف رأيت مدينتنا هذه ؟ فأجابه : حدثنا بعض

(١) ياقوت ج ٧ ص ١٣٧ .
(٢) هذه القصيدة غير موجودة في الديوان وهي في ياقوت ج ٧ ص ١٣٧ .
(٣) ياقوت ج ٢ ص ٢٨٦ .
(٤) في الديوان : « سقياً لبني ولا سقياً لبانات » والصحيح ما ذكره ياقوت في الجزء الثاني ص ٢٨٦ . وهي في ياقوت الثلاثة الأبيات الأولى
(٥) ياقوت ج ٧ ص ١٣٢

سر فنان نبيتان :

خطر يهدد القصة المصرية

للأديب كمال رستم

... إن المتتبع للحركة الأدبية القصصية فى مصر ، لا يستطيع أن يخفى خوفه من الخطر الذى بات يهدد أدب القصة ، وأقول « القصـــة » وأعنى بذلك أن أجمل اللفظ أكبر معناه فتستوى عندى القصة الطويلة والأقصوصة !

... ليس فينا من ينكر أن الأدب القصصى مستحدث فى العربية ، وأن ظهوره كأدب ذاتى متميز لا يرجع إلى أبعد من هذا القرن العشرين . وأقول أدب ذاتى وأنا ألتمس للتعبير شيئاً غير قليل من التحفظ ، فإن لقائل أن يقول : وهل لنا حقا أدب قصصى ذاتى ؟

والحق أن الإجابة عن هذا السؤال لا تتطلب كثيراً من الجهد متى توفرت لدى الكاتب الشجاعة فيجيب من فوره بأن ليس فى مصر قصَص ذاتى

... أعلم سلفاً أن قولى هـذا سيقيم ويقعد جماعة نصبوا أنفسهم آلهة للقصـة فى مصر ، وليس فى هؤلاء من يهمنى رضاهم أو سخطهم ما دمت أهدف إلى غرض سام أرجو من ورائه أن يعود على أدبنا بالخير والنفع ! ... ويبقى أن ندير السؤال على وجه آخر فنقول : هل القصـة المصرية موجودة بالفعل ... وهل ما تطالعنا به المجلات الأسبوعية قصص مستمدة من صلب الحياة المصرية ؟ أكبر الظن أن الإجابة عن هذا السؤال ستكون سلباً ... فالقصة المصرية لا تعبر عن روح المجتمع بل هى الصدى الشائه لمجتمعات غريبة وأجواء أجنبية ! إن مقياس الذاتية فى القصـة أن يجد الإنسان نفسه وأسرته وعاداته وأخلاقه وآماله وآلامه فى كل ما يكتب الكاتب من القصص ، ذلك بأن القصة يراد بها أولا وقبل كل شىء تصوير المجتمع ، بل إن مقررى الحالات الاجتماعية لمصر من العصور فى بلد من البلاد ليعتمدون فى الكثير الغالب على القصـة فى تقرير الحالة الاجتماعية لهذا العصر باعتبار أنها الصدى الحاكى له .. وليكن المثال التالى مصدقا لما نقول :

رواتنا أن هذه هى الأرض المقدسة لبنى إسرائيل . فقال له الخمار : أيما أفضل هذه أم قطربل ؟ فقال : لولا صفاء شراب قطربل ، وركوبها كاهل دجلة ، ما كانت إلا بمنزلة حانة من حاناتها .

ثم مر أبو نواس بمدينة عانة فسمع اصطخاب الماء فى جداولها فقال : أذكر فى هذا قول الأخطل :

من خمر عانة ينصاع الفؤاد لها   بجدول صَخِب الآذى موّار

فأقام فيهـا ثلاثاً يشرب . ثم قال لولا قربها من قطربل وجاذبة الدواعى إليها لأقمت بها أكثر من ذلك . فلما دخل الأنبار تسرع إلى بغداد وقال : ما قضيت حق قطربل ، فعدل إليها وأقام ثلاثاً أتلف فضلة كانت معه من نفقته ، وباع رداء معلماً من أردية مصر . ولما أراد الانصراف عنها اجتمع الخمارون للسلام عليه . قال الصولى : فما شبهتهم وإياه إلا بجماعة الرشيد عند تسليمهم عليه فى يوم حفل له . وقد قال فى ذلك قصيدة ظريفة هى[1] :

طـربت إلى قطربل فأتيتها   بمال من البيض الصحاح وعين
ثمانين ديناراً جياداً أعدها   فأتلفتها حتى شربت بدين
رهنت قميصاً سابرياً وجبة   وبعت رداء معلم الطرفين
لخمارة دين ابن عمران دينها   مهذبة تكنى بأم حصين
وقلت لها إن لم تجودى بنائل   فلا بد من تقبيلى الشفتين
فقالت : وهل ترضى بغيرهما هوى   يا بلج كالدينـــار فاتر عين
وقد كنت فى قطربل إذ أتيتها   أرى أننى من أيسر الثقلين
فروحت عنها معسراً غير موسر   أقرطس فى الإفلاس من مائتين
وقال لى الخمار عنـــد وداعه   وقد ألبستنى الخمر خف حنين
الا عش بزين أين سرت مودعاً   وقد رحت منه حين رحت بشين

بغداد   **شكرى محمود أحمد**

مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(١) هذه القصيدة فى ياقوت تسعة أبيات وفيها تصحيف كثير فى الأصل وصححناها على ما بأيدينا من شعره .

إن مصر ترزح في الوقت الحاضر تحت عبء ثقيل من الآلام ، فأين القصة المصرية التي يمكن أن يعتمد عليها مؤرخ في عصر متأخر ليصل منها إلى حقيقة هذا الوقت العصيب الذي تجتازه مصر ؟ لقد كتبت قصص في بلاد أخرى كان مدارها علاج المشاكل الاجتماعية لتلك البلاد ، فقومت من الأخلاق وهذبت من العادات ، وأسقطت حكومات وأدلت نيران ثورات ، فأين قصتنا المصرية من هذا كله ؟

أو ليس عجيباً والشعب يعاني عللا اجتماعية لا حصر لها ألا نجد من بين كتابنا القصصيين من يجعل من هذه العلل عقد قصصه ؟ ... بل ان النفس لتتفطر أسى حينما نقلب بين أيدينا المجلات الأسبوعية فلا نقف فيها على غير قصص الحب ، كأن الشعب الذي يزود سواده أعباء الجهل والفقر والمرض يمضي كل وقته متغنياً بالحب وما يتصل بهذا الحب من العواطف والانفعالات ؟ . حتى هذا اللون من القصة الذي استغرق كل أدبها إنما هو لون واغل دخيل !

لقد دلت التجارب على أن الناسخ أو المقتبس لا يستطيع في الغالب الأعم أن يخلق أو يبتكر ، وهذه الحقيقة معروفة لنفر غير قليل من هؤلاء الذين توفروا على النقل والاقتباس

ولكن ليس هذا كل ما في الأمر من خطر ، ذلك بأن القصة غزت ميداناً واسعاً هو ميدان السينما وتأثيرها على العقول لا يحتاج إلى دليل ، فإن أولادنا وبناتنا وزوجاتنا يؤثرون دور العرض على غيرها من ضروب التسلية والترويح عن النفس ، وهكذا يبرز جلياً خطر عرض عادات وأخلاق غير عاداتنا وأخلاقنا على النشء والبنت والزوجة مما وضح أثره الأليم في اصطناع هذه العادات والتخلق بهذه الأخلاق حتى أشفق المشفقون على مجتمعنا من الانحلال

وبعد فلعل ختام هذه الكلمة العاجلة هو ما كان ينبغي أن يكون مبدأها ، ذلك بأني كتبت هذه الكلمة في أعقاب قراءتي قصة لكاتب في عدد المصور الأخير عنوانها « الأرض التي تكفيه » ، وقد نسبها الكاتب إلى نفسه ، وهي لروائي من أعظم روائيي العالم وأبعدهم صيتا وهو الروائي الروسي الكبير ليوتولستوي ... وهي القصة الموسومة باسم :

Hew Much Send Does a man require

« كم حاجة المرء من الأرض » . . . والنقل على هذه الصورة أبعد ما يتصوره الإنسان من الجراءة ، فلو أن الناقل نقل عن كاتب مغمور لالتمسنا له بعض العذر ، ولكن أن يضيف إلى نفسه عملا لكاتب لامع كتلستوي فهذا هو ما يحير عقلا كعقلي على الأقل .. فهل ظن الناقل أن أدب تولستوي لا يقرأه شخص عداه ؟ فإذا كان شأن أدباء القصة هذا مع مؤلف « السلم والحرب » و « أنا كارنينا » هو هذا الشأن فكيف شأنهم مع غيره؟

هذه الظاهرة الخطيرة رأيتها كذلك في أدب كاتب معروف هو الأستاذ توفيق الحكيم ، فقد ظهرت له قصة في أحد أعداد مجلة أخبار اليوم بعنوان « نيئة الزفاف » وليست هذه القصة غير قصة "A usband to trust" « البحث عن زوج أمين » لكاتب أمريكي هو : Hester. G. Rabison . وهي منشورة بعدد مجلة « قصص الحب » الأمريكية Sove Story الصادر في ٧ من يونيو سنة ١٩٤١ . وعذر الأستاذ الحكيم أن المؤلف الأصلي غير معروف لقراء العربية على الأقل ، فلم يجد حرجاً في التغرير بعقول القراء ! ومهما كانت خطورة اعتماد الناقل في أدبه على ما ينقله من أفكار الغرب ، فإن هذه الخطورة ستكون أبعد مدى في تأثيرها في المجتمع المصري كما قدمت . ومن هنا حق لي أن أنبه إلى مقاومة هذه الظاهرة والحد من تأثيرها ضناً على ذاتية أدبنا من جهة ، وإشفاقاً على التأثير السيء الذي تخلفه بعض هذه القصص في مجتمعنا من جهة أخرى .

كمال رستم

العلاقة بين بغداد والقاهرة
في عهد الفواطم

للأستاذ عبد المنعم ماجد

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

يظهر أن أثر المحضر الأول كان بالغاً ، فالخليفة الفاطمي في مصر وقتذاك وهو الحاكم بأمر الله الذي كان قد أباح للسنيين من أتباع مالك الحرية في تدريس مذهبهم ؛ بل أنشأ مدرسة لتدريس هذا المذهب وخاصة من الناحية الفقهية ، فإنه لما سمع بالطعن في نسبه في المحضر ، ثارت ثائرته ، وحظر ما كان قد أباحه. ويقول أبو المحاسن إنه هان في أعين الناس لكتابة العلماء في المحضر وإنه قامت قيامته . والظاهر أن ثورته كانت شديدة حتى أنها تمدت إلى اليهود كما يذكر كردي ساسي في كتابه (الخليفة الحاكم بأمر الله ص ٣٣) .

كذلك شد هذا المحضر من أزر من يحقد على الفواطم ، فاتخذه كل عدو لهم سلاحا قويا ضدهم ، فحاكم المدينة ومكة أبو الفتوح (وكان حاكما من قبل الفواطم) ألغي الخطبة له. هذان المحضران ظهرا بلاشك كنتيجة لضعف البويهيين في هذه الفترة ، ومع سوء العلاقة فيها فإن التفاهم يكون ممكنا في بعض الأحيان ما وُجد البويهيون . فمثلا استمر التضامن بين أهل الكرخ من الشيعيين في بغداد والفواطم في مصر في الاحتفال ببعض أعياد الشيعة ، ولكن حينما زال حكم البويهيين ساءت العلاقة بمجيء السلاجقة ، وذلك لأنهم كانوا سنيين كالخلفاء العباسيين لا يعترفون بحق للفواطم بل هم أعداء لهم .

الفترة الثالثة :

وتبدأ من سنة ٤٤٧ ، وهي السنة التي دخل فيها طغرلبك زعيم السلاجقة بغداد ، ولذلك تعتبر بدء العهد السلجوقي . في هذه الفترة تسوء العلاقة بين بغداد والقاهرة ، لأن السلاجقة على عكس البويهيين ، وقفوا موقفا عدائيا تاما من الدولة الفاطمية ، وذلك لأنهم أولا كانوا من أهل السنة لا يعتقدون بشرعية الخلافة الفاطمية . وثانياً لأن الدولة السلجوقية عملت على تقوية الخلافة العباسية فخفقت لها نفوذها الروحي وكان مفقوداً في عهد البويهيين ، ولذا كان طبيعيا أن يظهر العداء بين الطرفين وأن يتحالف السلاجقة مع الخلفاء العباسيين على الشيعيين الفواطم ، فيجب أن نعتبر العلاقة في هذه الفترة على أسوأ ما تكون بعكس ما كانت عليه في الفترة الأولى حينما كان للبويهيين القوة ، وحتى في الفترة الثانية كانت العلاقة متوسطة ، أما في هذه الفترة فقد أصبح العداء سافراً .

ولذلك سنجد كلا من الدولتين تعمل الواحدة منهما على القضاء على الأخرى ، ولعل أبرز مظاهر هذه العلاقة السيئة ثورة البساسيري ، قام بها رجل يدعى أبو الحارث أرسلان البساسيري من موالي الديلم ينسب إلى بلد في فارس اسمها بسا ؛ وكان هذا الرجل من أصل تركي قربه الخليفة القائم إليه ، حتى لم يكن يأتي أمراً إلا بعد استشارته ، وقلده الأمور ، وخطب له على المنابر في العراق وخوزستان إلا أنه كان شيعيا كالبويهيين لا يرى الخلافة الحقة إلا في أولاد فاطمة ، ورث هذا عن سيده بهاء الدين البويهي فقد كان مملوكا له ، وربما يمكننا أن نفسر بهذا السبب انقلابه على الخليفة القائم وتجبره عليه حتى جفاه ، وقد رأينا من قبل كيف كان يفعل أسياده البويهيون بالخلفاء العباسيين ، وإن كان معظم المؤرخين يذهبون إلى أن سبب سوء العلاقة راجعة إلى جفائه حتى اضطر القائم إلى إبعاده ، وأيد رئيس رؤسائه في عداوته له وفسد الأمر بينه وبين الخليفة حتى أدى الأمر إلى استنجاد القائم بالسلاجقة وما كاد طغرلبك يدخل بغداد حتى فر البساسيري إلى الموصل .

وجدت الخلافة الفاطمية في هذه الحوادث فرصة سانحة للانتقام والعمل على تقويض ملك العباسيين ، كما أدركت الخطر من بروز السلاجقة من موطنهم في تركستان ، كقوة فتية على أبواب بغداد ، ولذلك مشت الرسل بينهما ومدته بيد المساعدة . وفي أبي المحاسن نص يؤيد وصول هذه المساعدة (إن الذي وصل البساسيري من المستنصر من المال خمسمائة ألف دينار ، ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك ، وخمسمائة فرس ، وعشرة آلاف

قوس ، ومن السيوف ألوف ومن الرماح والنشاب شيء كثير) .

من قيمة المساعدة يتبين مقدار حماس الفواطم ، كما يفسر قبول البساسيري لهذه المساعدة رغبته في الانتقام من أعدائه . ولذلك لم يتردد في المسير إلى بغداد بعد أن مهد لذلك بإيقاع الفتنة بين طغرلبك وأخيه إبراهيم ينال ، وكان قد أطمعه في الملك ، حتى خالف أخاه وعصاه على أية حال بالمساعدة القيمة التي قدمها له الفواطم وبولاء أهل الكرخ الشيعيين في بغداد ، وبمساعدة حاكم الموصل تم له الاستيلاء على بغداد كلها وسارت جنوده في شوارعها ، حاملة الرايات المستنصرية ، وعليها ألقاب المستنصر صاحب مصر ، ثم خلع الخليفة العباسي ، وبايع الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وأرسل البردة والقضيب والمنبر إلى مصر .

وقد فرح المستنصر بنجاح ثورة البساسيري فرحاً شديداً ، حتى إنه لما غنته إحدى القيان :

يا بني العباس صدوا ملك الأمر معد
ملككم كان معاراً والعواري تسترد

وهبها هبة كبيرة . ويقول أبو المحاسن ، وكان ما وقع للمستنصر هذا تمام سعده ، والحقيقة أن ما وقع للمستنصر ما وقع لفاطمي قبله .

ولكن كانت هناك حقيقة عظيمة لا تغيب عن الذهن هي أن الدولة الفاطمية كانت قد بدأت بدورها تتدهور هي الأخرى ، ولذلك لم تتح لها مواردها السير في مشروعها ضد العباسيين إلى النهاية . كما أن المستنصر خاف من البساسيري فكف عن متابعة إمداده ، ثما عاد طغرلبك إلى بغداد حتى تمكن من قتل البساسيري وفتك به ، وأجلس القائم بأمر الله ثانية على عرش أجداده ، وأعاد للخلافة قوة لم تكن تحلم بها في عهد البويهيين وإن كانت روحية أكثر منها مادية . والدولة السلجوقية دولة فتية . ولذلك نجدها تقوم بفتوحات تمتد شرقاً وغرباً ، فتشارك الفواطم ملكهم في الشام ، كما نجد أن أتابكة الشام السلاجقة يتدخلون في سياسة مصر وبخاصة أتابكة الدولة الزنكية ، وينتهي الأمر باستيلاء صلاح الدين على مصر فيما بعد .

كذلك كانت هناك حركة ثانية حديثة في عهد السلاجقة ، وتبين نوعاً من العلاقة بين الفواطم والعباسيين ، وإن كانت علاقة غير مباشرة . وهي حركة سرية تعتبر من أقوى ما عرف من الحركات في العالم . هذه الحركة هي حركة الحسن الصباح الشهير بالحميري . حدثت حركته في أواخر القرن الخامس الهجري ، وكان هذا الرجل من زملاء نظام الملك الوزير المشهور (في المدرسة) وعمر الخيام الشاعر والفلكي الذائع الصيت .. وكان يأمل أن يصل إلى الحكم كزميله نظام الملك مثلا ولكنه فشل في غرضه ، فذهب إلى بلاط القاهرة ، فتشيع بروح القاهرة الدينى وأكرمه المستنصر كما يقول ابن الأثير وأعطاه مالا وأمره أن يدعو الناس إلى إمامته . وعلى ذلك ذهب من مصر إلى آسيا فاستولى على قلعة ألموت ، وكون جماعة عرفت في أيام الصليبيين باسم الحشاشين ، ومنها أخذت الكلمة الفرنسية Assassin بمعنى قاتل سفاك ، وكانت هذه تقاتل بالسيف والخناجر فوجدت حالة من الفوضى في الخلافة العباسية فأضعفتها ، واستولى على أجزاء منها ، وكان يدعو في هذه الأجزاء للامام الفاطمي . وإن كان في آخر أيامه دعا لنفسه وادعى أن نسب المستنصر باطل ، وتسمى بالإمام ، كذلك تنالى في دعوته كما هومذكور في كتاب الشهرستاني فاختلف عن الدعوة الفاطمية .

المهم في هذه الحركة أنها لاقت تأييداً من الخليفة المستنصر وكانت الفوضى التي أثارتها سببا دعا إلى سقوط الدولة العباسية فيما بعد بحيث أنهكت قواها الفتن والقلاقل وأضعفتها فلما جاء المنولي هولاكو ، وجدها لقمة مستساغة .

فالعلاقة في هذه الحركة لم تكن مباشرة بين بغداد والقاهرة كما كانت في عهد البساسيري ، تلك هي العلاقة بين بغداد والقاهرة في عهد الفواطم مرت بمراحل ثلاث كما ذكرت كانت في أولاها على أحسن ما تكون العلاقات وتدرجت في السوء حتى وصلت إلى العداء الصريح في الفترة الأخيرة ، تدرجا يتبع مدى تشيع أصحاب الأمر والنهي في بغداد للعقيدة الشيعية التي منها الفواطم .

وينتهي الأمر بتحكم السلاجقة الشاميين وخاصة أتابكة الدولة الزنكية في شئون مصر الداخلية ، ويظهر صلاح الدين الأيوبي الذي يكون على يديه القضاء على الدولة الفاطمية في مصر وتكون الدولة الأيوبية . فنجد أنفسنا بإزاء علاقة أخرى هي علاقة الشام بمصر ، ولذلك نتركها لفرصة أخرى .

عبد المنعم ماجد

اتحاد شمـــال أفريقيا

للأستاذ عبد المجيد بن جلون

مضى عصر الموت والانحلال في شمال أفريقيا وبدأ عصر جديد يلوح في الأفق ، وبذلك لاتضيع السنوات الطويلة التي قضاها في الكفاح سدى . وقد تطورت قضايا تونس والجزائر بحيث أصبح من المستحيل تجاهلها . فلا يواتي الإستعمار أن ترتسم مانشاء ، وللسلطات المحلية أن تتصرف كما تريد ، فإن الفترة الحالية لن تدوم طويلا . إن حالة الضغط والإضطهاد والفوضى التي تشمل اليوم هذه الأقطار العربية الشقيقة ، إنما هي مظاهر انهيار يشق طريقه إلى القبر بخطى حثيثة ، أما هذه النهضة الوطنية المكافحة الصابرة فهي طليعة عصر جديد . ذلك أن قضايا شمال أفريقيا تخرج من حدودها الضيقة المحدودة ، إلى حدود أوسع لم يكن لها عهد بها من قبل ، فصوتها يرتفع اليوم في العواصم العربية كلها كما يرتفع في باريس ولندن ونيويورك ؛ وليس هناك من يستطيع أن يقف في وجه شعب مصمم على أن يعيش مهما كان الثمن الذي يدفعه في سبيل أن يعيش .

وللاستعمار القاسي الشديد مساوئ لاتحصى ، ولكن له حسنة في هذه البلاد ، فقد عرف الناس بواسطته أن الحديد لايفله إلا الحديد ، ولذلك لم يوجد فيها من يحاول اصطياد الفرص لأنه لاتوجد فرص ، وإنما عبأوا جهودهم للمقاومة الطويلة الحافلة بالصبر والكدح والشقاء ، فأكسبهم ذلك قوة قل أن يتسلح بها شعب دون أن تصل به إلى النجاح ، وبذلك برهنوا على أن بلادهم — بالرغم مما قاسته — غير قابلة للموت .

أضف إلى ذلك أن الوضعية في شمال أفريقيا غير طبيعية ، فالناس فيها يحكمون بأساليب بعيدة كل البعد عن أن ترضى مايصبون إليه بعد أن تعرفوا إلى الحياة الحديثة ، ونزعوا إلى الحرية والإستقلال . وإذن فليس هناك بد من أن تتغير الحالة الحاضرة سواء رضى السادة المستعمرون أم كرهوا ؛ ذلك أنهم يقفون في وجه التاريخ ، ولن يكون من اليسير الوقوف في وجه التاريخ طويلا ...

ولست أكتب هذه الكلمة لأتحدث من الإستعمار الفرنسي ومساوئه الشهيرة ، وإنما أريد أن أتحدث عن نوع النظام الذي يجب أن تخضع له هذه البلاد الشاسعة بعد أن يزحزح التاريخ هؤلاء السادة الواقفين في وجهه . ماهي قواعد السياسة في شمال أفريقيا الحرة ؟ هل يظل التقسيم الحالي قائما أم يقوم مقامه اتحاد ؟

يظن كثير من الناس أن تقسيم شمال أفريقيا الحالي يرجع إلى الإستعمار الفرنسي ، وهذا ليس بصحيح . فقد عرفت شمال أفريقيا على هذا النظام منذ زمن بعيد ، حتى قبل الإسلام خضعت أجزاؤه المختلفة إلى مقادير متباينة ، بحيث لم يستطع أحد أن يوحده في ظل الحرية أو الإستعمار ، إلى أن جاء الإسلام ، ولم يكد ولاة القيروان يوحدون تلك الأراضي حتى تصدعت هذه الوحدة من جديد . ويكفي أن نقول إن شمال أفريقيا في تاريخه الاسلامي الطويل لم يتوحد إلا مرتين ، أولاهما في عصر الفاطميين إلى أن رحلوا إلى مصر ، وثانيتهما في عصر الموحدين ملوك مراكش إلى أن انفصل عنهم بنو زيان في الجزائر ، وبنو حفص في تونس ، وهكذا تصدعت وحدة شمال أفريقيا لآخر مرة في القرن السابع الهجري بعد أن لم يكتب لها النجاح في المحاولتين اللتين أسلفنا الاشارة إليهما . وكان هذا على أساس قيام ثلاث دول هي مراكش والجزائر وتونس ، وقد ظل الأمر على ذلك منذ هذا الحين .

ذلك هو التاريخ ، وهو دون شك عامل حيوي لايجمل إغفاله . بيد أن ظروف الحياة في العصر الحديث قد تغيرت وبات نظام العالم يدعو إلى قيام كتل دولية كبيرة ، تقوم على أساس التعاون وتبادل المنفعة . فإذا أعدنا النظر في اتحاد أو وحدة شمال أفريقيا على ضوء هذا استطعنا أن نلاحظ أشياء جديدة .

هذه البلاد شديدة التشابه من الناحية الجغرافية ؛ فهي مثل الجزيرة الخصبة المحصورة بين رمال الصحراء في الجنوب والشرق ، ومياه البحر في الشمال والغرب . والإختلاف في الظواهر الطبيعية بينها جميعاً يشبه اختلاف هذه الظواهر في كل قطر على حدة . ولذلك فإن هناك تشابها كبيراً بين السكان في الجنس والعادات والخلقة والتنوع .

ولا توجد حدود طبيعية بين هذه الأقطار ، ولذلك ظلت حدودها مطاطة وغير مستقرة خلال عصور التاريخ .

وتاريخها شديد الإرتباط في حوادثه بالرغم من انفصالها

السياسى ، وأغلبية السكان الساحقة مسلمون وهم متشابهون فى ظروف الحياة ، ومستوى الثقافة ، وتراكيب العقلية ؛ وكل اختلاف فى طبائعهم يرجع إلى عوامل استثنائية لن تلبث أن تزول مع انهيار الأنظمة الحالية . أضف إلى ذلك خضوعها فى العصر الحديث لدولة واحدة هى فرنسا — مع استثناء الجزء الشمالى الصغير من مراكش الخاضع للنفوذ الاسبانى ولا يتعدى سكانه المليون نسمة — ومهما تتعدد الأنظمة وأسماؤها ، فقد اصطبغ الاستعمار الفرنسى فيها بصبغة واحدة ، لايختلف فى جوهره مطلقاً . قام فيها بإصلاحات مادية واحدة ، وأثار فيها مشاكل واحدة أيضاً ، هى مشكلة المتمصرية ونزع الأراضى وكبت الحريات العامة ومحاولة التوفيق بين التقدم الإقتصادى والاستعمار وبين الحيلولة دون تطور الأهالى واستفادتهم من التقدم الاقتصادى ، فنتجت عن ذلك حالة واحدة متشابهة .

ثم إن الموقف الفرنسى إزاء أمانى هذه البلاد القومية موقف واحد وهو موقف الحريص على الإحتفاظ بكل شىء وعدم التسامح حتى فى المسائل الصغيرة التى لا تقدم ولا تؤخر فى صميم النظام الحالى

وقد قلنا ونحن معتمدون على طبيعة الحياة وقانون التطور — إن هذه البلاد سوف تحقق أمانيها القومية مهما فعل الفرنسيون . فالسؤال الذى نريد أن نطرحه الآن هو : هل فى استطاعة هذه الأقطار أن تكون بعد تحررها من النظام الحالى دولة واحدة أو أن تؤلف اتحاداً سياسياً ؟ .

لقد رأينا أن التاريخ لايقدم الينا أمثلة مشجعة على التفكير فى قيام دولة واحدة مؤلفة من شمال أفريقيا العربى ، ولذلك فنحن نرى استحالة قيامها فى المستقبل القريب . أما مايمكن أن يقوم فهو « اتحاد شمال افريقيا العربى » وهو مشروع يجب إطالة التفكير فيه ، ومحاولة بنائه على أسس مستمدة من التاريخ

كان هذا الاتحاد متعذراً فى الماضى يوم كان التاريخ لايسمح به لأسباب كثيرة لامجال لذكرها فى هذه العجالة . أما اليوم فإن المآسى الحديثة قد صهرت هذه الأقطار ، وقربت فيما بينها ، وجعلتها تفكر فى مشاكل واحدة ، وتقاسى أرزاء واحدة ، وتكون على اتصال دائم بحكم النظام المتشابه الذى تخضع له ، وتبعيتها لدولة واحدة فى العصر الحديث .

كان سقوط الجزائر فى يد الأتراك إيذانا بسقوط تونس فى يدهم أيضاً . ثم سقطت الجزائر مرة أخرى فى يد الفرنسيين فكان سقوطها مقدمة لسقوط جارتيها معاً . وإذن فإن من أبسط الدواعى إلى قيام « اتحاد شمال أفريقيا العربى » هو أمن هذه البلاد الإجماعى فى المستقبل . وليس ذلك لأنها لن تستطيع الدفاع عن نفسها منفردة ؛ ولكن لأن الحدود بينها ليست طبيعية ولذلك لايمكن أن يبنى الدفاع عن واحدة إلا على أساس الدفاع عنها جميعها . والحرب الأخيرة نفسها تقدم الينا أسطع مثال على هذا ، إذ كان مصير هذه الأقطار واحداً حين انتصر الألمان ، وواحداً حين انتصر الحلفاء ، وعجز المارشال رومل عن الصمود فى تونس أمام جيوش الحلفاء التى احتلت الجزائر ومراكش .

وعلى ذلك فنستطيع أن نصل إلى نتيجة منطقية سليمة هى أن شمال أفريقيا لن يستطيع أن يكون إلا مجتمعاً ؛ وسوف يكون اتحاده مصدر قوة ، ولن تتمتع واحدة من بلاده باستقلالها كاملا مادامت إحدى جارتيها محتلة بالجيوش الأجنبية . وإن السبيل الوحيد إلى ذلك هو قيام « اتحاد شمال أفريقيا العربى » .

وإلا فسوف يكون من سخرية الأقدار أن يجمع بينها الاستعمار ثم يعجز عن ذلك الاستقلال .

عبد المجيد بن جلون

تعقيبـــــات . . .

للأستاذ عباس حسان خضر

أدب حرب — أدباء العروبة — علية بنت المهدى والعصائب — قصة زواج أم كلثوم .. ..

أدب حرب :

كان من فعل الحرب الماضية أن غمرت الأسواق مصنوعات رديئة ، خلت لها بانعدام البضائع الجيدة ، فلاقت الأولى ما لم تكن تلقاه الثانية من السمر والرواج ، واهتبل الفرصة كثير من صغار الصناع والدخلاء فى الصناعات ، فجدوا ، ولم يلبث كبارهم والمهرة منهم أن باروا أولئك فلم يأبهوا بالإتقان واختيار المادة ، وأزجى أولئك وهؤلاء بضاعتهم إلى السوق، ورزءوا بها المستهلكين

ونواحى الحياة من اقتصادية وأدبية وغيرها مشتجرة متفاعلة فكان من الحتم أن يمتد ذلك التيار إلى الأدب ، وكان من النتائج ذات المقدمات أن نرى قوما قد استشرى بهم السعار ، فراحوا يؤلفون ، ويؤلفون ... أى ينتشون[1] من الكتب ويجمعون .. ويكونون من الأشتات والمنتوشات كتباً يطوفون بها على إدارات الصحف ومكاتب الصحفيين ،مرة للاعلان بالثمن ومراراً لرجاء التقريظ والتنويه !

أثار بنفسى تلك الشئون والشجون مقال الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى فى « تجار الأدب[2] » وإن كان الدكتور قصر حديثه على هؤلاء الدخلاء فإن الأمر — من حيث الإكثار وما يقتضيه من عدم الإجادة — قد امتد إلى كبار الكتاب ... فهذا كاتب يسود الصفحات ذات المدد ولم يبدأ قصته ، فإذا أخذ فى التعريف بأبطالها ترك البطل واقفا ينتظر عودة الكاتب من (مشوار) بعيد ... وذاك كاتب كثرت مقالاته بكثرة ما يصدر من الصحف والمجلات فى هذه الأيام ، فيجلس على (مصطبة) كل منها (يدردش) لا يكاد يرتفع حديثه عن هذر الأحلاس بالمقاهى ... وآخر يملأ الصفحة من حجم الجرانديومية بأمشاج من الأخلاط ، كلمة من الشرق وكلمة من الغرب ، وشطحة لا تدرى من أين ... وأخرى لا تعرف إلى أين ... ولغيرهم فى مثل هذا طرائق قدد . ولا أريد أن أسمى أحداً ، فما للتجريح وجهت همى ، وإنما أقصد أن المعضلة هى مسألة هؤلاء الكبار .

أما أولئك المحتطبون فأمرهم ليس بذى بال ، فسينكشفون عن الأدب بتنبه القراء إلى زيفهم ، وأما كبارنا — وهم فى الأدب والنتاج القيم ماض مجيد وبلاء محمود — فيظهر أنهم قد اغتروا بذلك واطمأنوا إليه وحسبوا أنهم بلغوا نهاية الشوط فأخلدوا إلى الراحة من عناء الدراسة والإجادة والإيجاز ... واستسهلوا الإكثار واستهواهم كسبه .

ولا أنكر على حملة القلم أن يكسبوا من كده ما يمكنهم من العيش الكريم ، بل أرى ذلك باعثاً على الإنتاج الأدبى ومشجعاً عليه ، ولكنا نريد جودة النتاج وعدم الذهاب إلى جشع التجار

أدباء العروبة :

لعلك قرأت فى الصحف أخيراً أنباء أو نشرات عن جماعتين تسميان باسم واحد هو « جامعة أدباء العروبة » ولا بد أنك إذن عجبت ، فهو أمر يدعو حقاً إلى العجب ! على أن الأعجب منه أن تتصفح ما تتضمنه هذه النشرات من الأسماء فلا تجد بينها « معرفة » فى الأدب عدا واحد أو اثنين من غير الصف الأول!

فى أوائل هـذا العام دعيت إلى تأليف جماعة أدبية قيل لى — فيما قيل — إنها ستؤلف من أدباء البلاد العربية ، فلبيت ، وأنا وإن كان بى انقباض عن المجتمعات إلا أننى مصاب بحب الاستطلاع ، فرأيت هناك أفراداً من مصر ، نقليل منهم بعض النشاط الأدبى ، وبعضهم من المتخلفين فى الأدب ، وسائرهم إما غنى « يدفع » أو صاحب « مكان وتليفون » أو محرر فى جريدة ولكل وجهة ، وتلتقى الوجهات كلها عند الرغبة فى التسلق ... ووقع الاختيار على رجل كبير ، معروف — إلى جانب صفته السياسية بالشغف بالأدب ومودة الأدباء ، هو معالى ابراهيم دسوقى أباظة باشا الذى تفضل فشمل الجماعة بعطفه ...

وشرعت « جامعة أدباء العروبة » فى العمل ، وماذا يعملون؟

---

(١) من معانى النتش : الجذب والاستخراج .

(٢) الرسالة عدد ٧٠٢

حملهم رجل كريم فى سيارات إلى القناطر الخيرية ليجتلوا الربيع هناك . ثم إلى الأهرام ليناجوا القمر ... ومكن لهم معالى الوزير من إسماع من لم « يقفلوا الرادبو ! »

ومنذ شرعوا فى العمل ظهر بينهم شيء من « مفرزات مركب النقص » ما كدت ألمحه حتى نجوت بجلدى ... وظل « مركب النقص » يعمل حتى تنازعوا وانقسموا إلى فريقين : فريق لا يزال فى كنف معالى دسوقى باشا ، والآخر قد اختار لرياسته الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، وكل من الفريقين يتسمى بجامعة أدباء العروبة !

ونعود إلى العجب من تنازع الفريقين اسماً ليس أحدهما حقيقاً به ، لأن المتبادر إلى الذهن من هذا الاسم أنه علم على جامعة عربية أدبية ، أى جماعة من رءوس الأدباء فى البلاد العربية المختلفة ، وليس بين هؤلاء ولاهؤلاء واحد منهم ، على أن الصفة الغالبة على الرئيسين هى السياسة ، فلو أنهما تخليا عن هذه الرياسة لانصرف كل من الفريقين إلى شأنه

علية بنت المهدى والعصائب :

نشرت جريدة « أخبار اليوم » صورة كتبت تحتها : « تسريحة للشعر عرضت فى المؤتمر الدولى الثانى للحلاقة الذى عقد فى باريس ، ويلاحظ تأثير الذوق الشرقى فى الحلية التى تستر جزءاً من الجبين فى حالة اتساعه عن المألوف . »

صحيح أن هذا ذوق شرقى ، ولكن ما أصل هذا الذوق ؟ يخيل إلى أنه يرجع إلى علية بنت المهدى أخت الرشيد ، فقد أثر عنها أنها كانت من أجمل النساء ، ولكن كان بها عيب ، كان فى جبهتها سعة تشين وجهها ، فاتخذت العصائب المكللة بالجوهر لتستر بها جبينها ، قال صاحب الأغانى فى ذلك : « فأحدثت والله شيئاً ما رأيت فيما ابتدعته النساء وأحدثته أحسن منه »

وما إخال إلا أن هذه (المودة) قد انتشرت محاكاة علية ، وسارت بين النساء على اختلاف الأجيال وتعاقب الأزمان حتى الآن ، وها هى ذى تأخذ طريقها إلى باريس ...

وتلك هى سنة الناس فى ابتداع (المودات) وانتشارها ، وما أظن كثيراً من أوضاع الملابس التى نرتديها الآن ، كربطة العنق وثنية السروال ، إلا من عيب كان بأحد الناس فى سالف الزمن ، أو اضطرار لمواجهة حالة ، أو ما إلى ذلك .

قصة زواج أم كلثوم

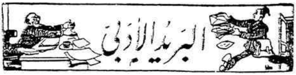
إن كان حقيقياً ما يقال وما تدل عليه الدلائل فقد انخدعنا — كما انخدع سائر الناس — فى ما كتبنا بالتعقيبات الماضية عن زواج أم كلثوم ، إذ أيقنا أن هذا الزواج أو العزم عليه حقيقة واقعة ، وكانت طريقة إذاعة النبأ تحمل على الوثوق به ، ولكن يظهر أنها طريقة أمريكانية ...

أسبوع واحد جرت فيه الأعاجيب : استعداد تام لعقد الزواج الذى لا بد أن يكون قد فرغ من بحث مقدماته ، فإذا المقدمات تتأخر عن ظرفها حتى تبرز فى هذا الأسبوع المسحور فتعرف أم كلثوم أن خاطبها متزوج ، فترده ! ولا ينبغى أن تسأل لم لم تعرف من قبل ؟ وهل يخفى مثل ذلك فى مثل هذه الحال ؟ ! ليس لك هذا ، لأن الأسبوع المسحور يجب أن يتسع لكل شيء .

قالوا لأم كلثوم : إن بعض (أفلامك) لم تنجح أخيراً ، لأنه لم يعمل لها الدعاية اللازمة ، وسنكفيك هذا الأمر ، فالرواية من عندنا ، والدعاية علينا ...

وزاد على ذلك أن ما نشر عن هذا الزواج هو الحوادث الأولى فى (الفلم) الجديد الذى يلحن أغانيه محمود الشريف وقد يغنى فيه من قلبه المفجوع ... وتغنى أم كلثوم مصورة أحاسيسها وانفعالاتها ...

وسواء أكان ذلك صحيحاً أم لم يكن فإن أم كلثوم ليست بحاجة إلى دعاية ولا إلى نجاح (أفلام) ففنها يتركز فى أنها « مطربة حفل » وهى ناجحة فيه (بدرجة فوق الممتاز) وهذا حسبها ، وأكثر ما يجنى من الدعاية للقائمين بها ... أما أن هذا لائق أو غير لائق فهو موضوع آخر ، وإن كان يجب ألا يغفل حسابه ...



في النحو :

نقد الأستاذ عباس حسان خضر في مقالة له في (الرسالة الغراء) — ٧٠٢ — الأستاذ ميخائيل نعيمة في مقالة له في (الكاتب) الغراء في قوله (مجيمون) لبنائه اسم الفاعل من (جاع) اللازم مثل هذا البناء وفي قوله (ويخاطبونا) لحذفه نون الرفع من الفعل . واليقين أن الأستاذ نعيمة بنى ما بنى من (أجاع) لا من (جاع) ومعناه أنا مجوع ومجيع غيرنا (جائعون ومجيعون) . وإذا كان للحماسي أن يقول :

كل له نية في بغض صاحبه   بنعمة الله نقليكم وتقلونا

وللامام محمد بن اسماعيل البخاري أن يروى في كتابه المشهور :

« ... وذلك لقوله لا يسألوني خطة يعظمون بها الله إلا أعطيتهم إياها[1] » « ... قال إبراهيم وكانوا يضربونا على الشهادة والعهد ونحن صغار[2] » « . . فقال أتبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً[3] . . . » .

إذا كان للحماسي أن يقول ما قال وللامام البخاري أن يروى ماروى فللأستاذ ميخائيل نعيمة أن يكتب (ويخاطبونا) . قال الإمام التبريزي في (تقلونا) حذف النون القائمة عن الإعراب وهو لغة حجازية ، وعلى هــذا قول الآخر : إلى من بالحنين تشوقيني » .

والحذف عند التقاء النونين في كلام الأقدمين والمحدثين في شعرهم ونثرهم — كثير .

(السهامى)

« حول كتب وشخصيات » :

كتب الأستاذ « عباس حسان خضر » في عدد الرسالة الماضى كلمة مشكورة عن كتابي الأخير : « كتب وشخصيات »

وطبيعي أن يكون له ولغيره من القراء والنقاد وجهة نظر في بعض المسائل تخالف وجهة نظري ، ولا سيما في كتاب نقد يتناول عدداً كبيراً من الشخصيات الأدبية تختلف حولهم الآراء .

ولكني أحسب أنه من حقي كذلك أن أوضح وجهة نظري للقراء في مواضع الخلاف :

١ — قال : إنني قررت في كتابي أن الأدب العربي « يغلب عليه طابع المعاني العامة المتبلورة ، والقضايا الذهنية الكلية ، ويطالع القارىء بنتيجة التجربة النفسية لا بطريقتها التي تشغل الحس وتستثير الخيال ، وهو فقير في الصور والظلال . . الخ » ثم قال : « والأستاذ سيد يطلق هذه القذائف في وجه الأدب العربي ، ثم يخلو إلى قطع مختارة من الآداب الغربية والهندية والفارسية معظمها من كتاب « عرائس وشياطين » للأستاذ العقاد فيعكف على ما فيها من الميزات التي جرد منها الأدب العربي ، ويأتي من الشعر العربي بما يراه مجرداً من اللحم والدم ... وهذا صنيع عجيب لأن القطع غير العربية التي أتى بها مختارة ، والأستاذ سيد لم يطلع على كثير غيرها في آدابها ... الخ » وكان فيما قاله : « وقد أجاد في تطبيق أسس النقد العام على الأمثلة التي اختارها ، ولولا « شنشنة » ما كنا نود أن يكون « أخزمها » فقد حرص في كل فصل من الفصول الأولى عند ذكر ميزات وقيم الفنون على أن يجرد أو ينقص نصيب الأدب العربي منها »

فأحب أن أقول للأستاذ : إنه ليس بيني وبين الأدب العربي عداوة تحملني على أن « أحرص » على تجريده من المزايا . فثقافتي عربية ودائرة بحوثي على وجه عام هي الآداب العربية . ولكنني « ناقد » يجمع الخصائص ويقدر القيم ويضع القواعد . فإذا لاحظت من مجموع دراستي فقر الشعر العربي في الصور والظلال بقدر احتشاده بالمعاني والأفكار — كما قلت — فإن محبتي للأدب العربي لا يجوز أن تقف بي عند تقرير هذه الظاهرة بإخلاص .

أما مدى دراستي للشعر العربي وهي التي تخول لي إصدار

---

(١) ج ٣ ص ٢٠٠ .
(٢) ج ٥ ص ٣ .
(٣) ص ٦ ج ١٨٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

ولم يعرض مواضع نقدي « فأخطاء الإنسان » فيما يقول :

فالذي يقوله الأستاذ هنا بديهية لا تبلغ بي الغفلة ألا ألتفت إليها . وليس كل أديب مكلفا أن يصخب ويعربد . وليست الدعة واللطف بأقل أصالة في الفن من الصخب والعربدة .

ولكن أكان هذا مأخذي على فن تيمور :

أرجع إلى كتابي ص ١٨٥ فأجدني أقول :

« لقد كان لتيمور الحق أن يتبوأ مكانه الذي ينسبه إليه بعض من يكتبون في النقد في هذه الأيام ، لو أنه وفق إلى منح الحياة لأبطال أقاصيصه وبث الحياة في تضاعيفها — ولو إلى حد ، ولكنه — فيما عدا القليل من هذه الأقاصيص — يخونه التوفيق في إطلاق روح الحياة المتحركة ... »

« ولطالما خيل إلي — وأنا أجول بين شخوص تيمور — أنني في « متحف الشمع » ، فتماثيل الشمع هي التي تمثل هذه الشخوص أوضح التمثيل ... »

« ويحاول تيمور أن يرسم نماذج بشرية من خلال شخصيات محلية ، وهي محاولة لو أفلحت لأنشأت فنا إنسانيا رفيعا ؛ ولكنه فيما يخيل إلي بعيد كل البعد عن « الناس » وعن البيئة . فالناس — حيث كانوا — لا يتصرفون هذه التصرفات مجتمعة . والناس في مصر ليسوا كما يتوهمهم المؤلف - لا في طبيعتهم ولا في أحاديثهم ، ولا في خلجاتهم النفسية ولا في سمة من السمات المحلية الكثيرة التي تبرز طابعهم . إنهم ليسوا مصريين لأنهم ليسوا آدميين » !

هذه هي المآخذ الأساسية : فقدان الحياة . أما حكاية الصخب والعربدة فقد جاءت في كتابي هكذا :

« إنه لا يخطر لهذه الشخوص — مرة واحدة — أن تنفعل انفعالا قويا — كما يقع للآدميين — وحين تنفعل يبدو التكلف والبعد عن الحقيقة البسيطة ... »

« والحركة العنيفة ليست مطلبا في ذاته ؛ ولكنها علاقة من علامات الحياة تصدر من البنية الحية في ميعادها فتدل على الحياة الكامنة فيها » .

هكذا قلت . وأحسبني كنت أعرف هذه البديهية الواضحة . إن « تيمور بك » يجد دائما وفي كل عمل يعمله من يشيد بفضله على الفن ، ومن يصعد بفنه إلى السماء . دائما دائما يجد من يقول له هذا . فإذا وجد ناقد يملك أن يتخلص من كل الملابسات ليقول مرة واحدة كلمة حق ، فيجب أن يكون لهذه الكلمة مكان في وسط التعاويذ والرقى ومجامر البخور !!!

وإلا فأسباب المودة الآسرة التي تربط تيمور بك بنقاده جميعا كانت كفيلة بأن تنطقني بغير ما نطقت . فأنا أتمتع بها والحمد لله . وليس هناك ما يدعوني ألا أنصف ذلك الرجل الوديع الودود .

وبعد فشكرا للأستاذ عباس حسان خضر على جميع الحالات .

سيد قطب

ملتون :

بقي في دراسة الأستاذ الخفيف للشاعر ملتن بعض الكلام أرجأه إلى أن تنشر هذه الدراسة القيمة كتاباً حتى لا تتجزأ بين السنة الرابعة عشرة والسنة الخامسة عشرة من الرسالة .

فهرس الموضوعات للسنة الخامسة عشرة من الرسالة